

المدارس الطبية المتخصصة في الحضارة الإسلامية

الدكتور إبراهيم بن محمد بن حمد المزيني

كلية العلوم الاجتماعية - قسم التاريخ والحضارة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه والتزم هديه وسار على نهجه إلى يوم الدين . . .
أما بعد :

فقد حظي علم الطب باهتمام بالغ من المسلمين في ظل الحضارة الإسلامية ، ولقي تشجيعاً كبيراً من سلاطين المسلمين وملوكهم على مرّ العصور الإسلامية ، تجلّى ذلك في الاهتمام الكبير بإنشاء دور التعليم التي تعنى بتدريس العلوم الطبية ، وفي اختيار الأطباء المبرزين للتدريس في هذه المراكز والإشراف عليها إلى غير ذلك من أوجه التشجيع الأخرى .

ومما يلحظ في هذا الجانب أن تعلم الطب عند المسلمين لم يكن يتم بطريقة عشوائية ، بل كان يتم حسب شروط وضوابط دقيقة يشرف على تنفيذها ولاة الأمر في كثير من الأحيان ، مما كان له أثر إيجابي في التطور الملحوظ الذي حصل للعلوم الطبية ودافع قوي للأطباء المسلمين بأن يبدعوا في هذا المجال ، مما نتج عنه كمّاً هائلاً من الدراسات الطبية المتطورة والمبتكرة والتي كان لها الأثر الكبير في إثراء الدراسات الطبية وارتقائها . وكان مما تميزت به الحضارة الإسلامية ظهور المدارس الطبية المتخصصة في فترة مبكرة وسابقة لظهورها في أوروبا بقرون عديدة حيث يجمع المؤرخون على أن تلك المدارس من أبرز مظاهر الحضارة الإسلامية في مجال الطب .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن عدداً من القائمين على تلك المدارس كانوا يحرصون على إلزام الطلبة بالاختصاص في بعض فروع الطب ، وأنهم كانوا

يشترون بعض الشروط فيمن يتصدى لدراسة الطب أو تدريسه ، بل ويلزمونهم بالتزام آداب هذه المهنة وضوابطها .

والمدارس الطبية المتخصصة هي تلك المدارس التي أنشئت خصيصاً لتدريس الطب ، ولم تشارك أغراض أخرى في إنشائها ، فقد دُرس الطب في مراكز أخرى غير تلك المدارس كالمساجد مثلاً ، ومنازل العلماء ، والمجالس الطبية العامة ، والبيمارستانات ، ولكن هذه المراكز على الرغم من عنايتها بتدريس الطب فإنها لم تُعدّ خصيصاً لتدريس هذا العلم ، وإنما جاء ذلك عرضاً وضمن مهمات عديدة أنيطت بها .

أما المدارس المتخصصة فقد أنشئت خصيصاً لهذا الغرض ولم يكن لها طابع آخر غير تدريس الطب ، وهي وإن جاءت متأخرة في نشأتها عن المدارس النظامية العامة إلا أنه كان لها الأثر الواضح في تطور الدراسات الطبية وازدهارها .

ومما يُلاحظ هنا أن عدد هذه المدارس كان قليلاً جداً ومحدود الانتشار مقارنة بالمدارس الأخرى ، ولعل ذلك يرجع إلى أن الطب كان ولا يزال من العلوم التي تتطلب دراستها إجراء تجارب وتطبيقات طبية ليست هذه المدارس ميداناً لها ، بمعنى أنها تخصصات لا يمكن أن تعتمد على الدراسات النظرية دون تطبيق ، ولذا فقد ظلت البيمارستانات هي الميدان العلمي المناسب والأمثل لتدريس الطب حتى وقتنا الحاضر على الرغم من نشأة المدارس والكليات الطبية المتخصصة وانتشارها .

ولكن على الرغم من ذلك فإنه كان لهذه المدارس أثر واضح في تطور الدراسات الطبية وازدهارها ، حيث كان يشرف عليها أساتذة الطب المتخصصون ، ويدرس فيها رؤساء الطب المتميزون ، ويطبق فيها نظام تعليمي دقيق لا يختلف كثيراً عن تلك النظم التعليمية المقررة في المدارس العامة وربما يفوقه ، ومع ذلك فإننا لا نجد الدراسات الوافية والعناية الكافية التي تعنى بتحديد نشأتها وتطورها ونظمها وآدابها كما هي الحال عليه في المدارس الأخرى .

لذا فإن هذه الدراسة تختص بكشف جوانب هذا الموضوع وإجلائه ،
وتشخيص معالمه في محاولة للإسهام في إثراء الدراسات الحضارية بمختلف
جوانبها .

ونظراً لطبيعة الموضوع فقد جاء تقسيمه إلى موضوعات متتابعة في إطار
المعالجة الموضوعية التي تتطلبها طبيعة البحث والمادة المتاحة له . إذ إن
الموضوع وهو يتناول المدارس الطبية المتخصصة ، كان من المناسب والمفيد أن
يسبق ذلك دراسة تعريفية سريعة بأماكن تدريس الطب السابقة على ظهور تلك
المدارس ، كالمساجد ، ومنازل العلماء ، والمجالس الطبية ، والبيمارستانات ،
مع التعريف بنماذج متفرقة منها . ثم يأتي الحديث عن تاريخ نشأة هذه المدارس
وظروفها وتوزيعها ويفصل في وضع كل مدرسة بذكر موقعها ونشأتها ، والتعرف
على منشئها وواقعها ، وأبرز العلماء الذين درسوا بها ، والأثر الذي تركته في
مجالس تدريس الطب عند المسلمين ، ويأتي بعد ذلك دور الحديث عن نظم
تدريس الطب وطرائقه وآدابه ونوعية المادة العلمية المهيأة لطلاب الطب ، ثم تأتي
خاتمة البحث وفيها عرض لأبرز نتائج البحث وتوصياته ، ثم عرض لأبرز مصادر
البحث ومراجعته .

سائلاً المولى القدير أن تكون هذه الدراسة مساهمة جادة في سجل الدراسات
التي تعنى بالحضارة الإسلامية ، وأن تكون منطلقاً إلى مزيد من الدراسات
والأبحاث المتصلة بتاريخ المسلمين وحضارتهم عبر عصورهم المتلاحقة ، وأن
يجعل أعمالنا جميعها خالصة لوجهه الكريم ، وأن يلهمنا طريق الرشد والسداد
إنه على كل شيء قدير . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أولاً : أماكن تدريس الطب السابقة لظهور المدارس المتخصصة :

لما كان هذا الموضوع يهتم بتناول المدارس الطبية المتخصصة في الحضارة
الإسلامية وجدت أنه من المناسب والمفيد أن أقدم له دراسة سريعة تتناول
التعريف بأماكن تدريس الطب السابقة على ظهور تلك المدارس المتخصصة ،

وطبيعة الدراسات الطبية في تلك المراكز التي جاءت أشبه ما تكون بالمدارس المتخصصة ، حيث كانت تعقد فيها المجالس والدروس الطبية المتخصصة ، ولكن هذه المدارس على الرغم من عنايتها بتدريس الطب ، فإنها لم تعد خصيصاً لذلك ، وإنما جاء تدريس هذا العلم فيها عرضاً وضمن مهمات عديدة أنيطت بها ، وقد تعددت تلك المراكز العلمية وتدرجت فيها الدراسات الطبية حتى نمت واتخذت شكلها المتكامل . ويمكن حصر تلك المراكز فيما يأتي :

(أ) المساجد .

(ب) منازل العلماء .

(ج) المجالس الطبية .

(د) البيمارستانات .

(أ) المساجد :

تعد المساجد أول وأهم مراكز التعليم الإسلامي على الإطلاق ، حيث كانت المساجد بالإضافة إلى كونها محل تعبد المسلمين واجتماعاتهم كانت أيضاً معاهد مفتوحة لكل راغب في الاستزادة من العلوم والمعارف والآداب ، وكان الطالب حينما يرى لديه الرغبة في التعلم في هذه المساجد يقصد إحدى حلقات التعليم المنتشرة في أرجاء المسجد ، حيث كانت تلك الحلقات مدارس مفتوحة لكل راغب في التعلم ، فيأخذ كل بقدر استيعابه مما يطرح ويناقش فيها من علوم ، وآداب ، وقد قامت تلك الحلقات بأثر بارز في ازدهار حركة التعليم عند المسلمين^(١).

ومن المساجد التي اشتهرت بحلقاتها العلمية وأدت رسالتها العلمية على أكمل وجه : المسجد النبوي الشريف بالمدينة ، والحرم المكي ، ومسجد البصرة ، ومسجد الكوفة ، وجامع عمرو بن العاص بمصر ، ومسجد القيروان ، والجامع الأموي بدمشق ، والمسجد الأقصى ، وجامع الزيتونة ، وجامع المنصور ببغداد ، وجامع قرطبة ، وجامع ابن طولون ، والجامع الأزهر بالقاهرة ، وغيرها من المساجد التي أدت رسالتها التعليمية خير أداء ، وكانت النواة الأولى لتأسيس المدارس الجامعة في العالم الإسلامي^(٢).

وفي بداية الدولة الإسلامية كانت المساجد معاهد عامة لتعليم العلوم الإسلامية التي تهتم بالموضوعات الشرعية البحتة ، ولكن مع مرور الزمن لم تعد الدراسة في المساجد تقتصر على تلك العلوم ، بل أخذت كثير من العلوم الأخرى طريقها إلى المسجد حيث أصبحت تدرس إلى جانب العلوم الشرعية ، وأصبحت كثير من المساجد مع مرور الأيام جامعات إسلامية تدرس فيها مختلف العلوم والآداب ، وكان علم الطب من بين هذه العلوم حيث خصصت عدد من حلق التعليم في المساجد لتدريسه ، وكان الطالب حينما يرى لديه الرغبة في دراسة الطب وتعلمه ، وبعد أن يتعلم طرفاً من العلوم الأولية من علوم شرعية ولغوية يجد الطريق أمامه مفتوحاً لتعلم العلوم الطبية في إحدى حلق العلم المخصصة في المساجد لهذا الغرض ، وكان من أبرز المساجد التي شهدت تدريس الطب بين زواياها ما يأتي :

١ - الجامع الأموي في دمشق :

وكان ممن اشتهر بتدريس الطب فيه : الطبيب موفق الدين عبداللطيف البغدادي حيث قال : « ورجعت إلى دمشق وأكبت على الاشتغال وإقراء الناس في الجامع »^(٣).

٢ - الجامع الطولوني بمصر :^(٤)

وممن اشتهر بتدريس الطب في هذا المسجد : الطبيب شمس الدين محمد بن عبدالله المصري المتوفى سنة ٧٧٢هـ (١٣٧٠م)^(٥).

كما درّس في هذا الجامع الطبيب عمر بن منصور البهاري المتوفى سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م)^(٦).

٣ - الجامع الأزهر بالقاهرة :

وكان ممن اشتهر بتدريس الطب في هذا المسجد الطبيب موفق الدين عبداللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩هـ (١٢٣١م)^(٧) حيث قال في حديثه عن نفسه : « وكانت سيرتي في هذه المدة أنني أقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول

النهار وإلى نحو الساعة الرابعة ، وسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره ، وآخر النهار أرجع إلى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون ^(٨) .

(ب) منازل العلماء :

على الرغم من انتشار المساجد والمدارس الإسلامية في كثير من عواصم العالم الإسلامي ، فقد ظلت منازل كثير من العلماء ملتقى لطلاب العلم ومركزاً علمياً مهماً كان له أثر كبير في نشر التعليم ، وكانت تقام في تلك المنازل كثير من الدروس المنتظمة في مختلف فروع المعرفة ، فقد كان العلماء يخصصون حجرة أو أكثر في منازلهم يستقبلون فيها طلبتهم لإقراءهم ، وغالباً ما تكون هذه الحجرة مزودة بكتب متخصصة للرجوع إليها والإفادة منها .

وكانت بعض منازل العلماء بمثابة مدارس متخصصة لتدريس بعض العلوم التي لا يتيسر تدريسها في المدارس العامة ، فقد حظي علم الطب باهتمام كبير من عدد من الأطباء الذين فتحوا منازلهم لاستقبال طلبتهم وتدريسهم فيها ، وعقدت في تلك المنازل الحلق الطبية التي حرص على حضورها طلبة العلم الملازمون لأساتذتهم لتعلم الطب .

وكان من أبرز منازل العلماء التي كانت تعقد فيها الدروس الطبية ما يأتي :-

١ - منزل الطبيب ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨هـ (١٠٣٧م) ^(٩) وكان يجتمع كل ليلة

في منزله طلبة الطب يقرأون عليه في مختلف كتب الطب ^(١٠)

٢ - منزل الطبيب أبي البيان بن المدور الملقب بالسديد المتوفى سنة ٥٨٠هـ

(١١٨٤م) ^(١١) ، وكان من مشاهير أطباء السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وقد

تعطل في آخر عمره من الكبر والضعف ، فعكف في بيته بالقاهرة لا ينقطع

عن الاشتغال بالطب ولا يخلو موضعه من التلاميذ والمشتغلين عليه

والمستوصفين منه ^(١٢) .

٣ - منزل الطبيب مهذب الدين بن هبل المتوفى سنة ٦١٠هـ (١٢١٣م) ^(١٣) ،

الذي منعه ضعف بصره وتقدم سنه من الخروج إلى الناس ، فلزم بيته

بالموصل ، وأخذ الطلبة يترددون عليه لتعلم الطب ^(١٤) .

(ج) المجالس الطبية :

وكان من ضمن المراكز العلمية التي اشتهرت بتدريس الطب تلك المجالس العلمية المنتظمة التي كان يرتادها الكثير من طلبة الطب والتي خُصصت في أماكن محددة لأطباء معلومين يقومون بإلقاء دروسهم الطبية فيها في أوقات محددة ، وكان من أبرز هذه المجالس ما يأتي :

- ١ - مجلس الطبيب يوحنا بن ماسويه المتوفى سنة ٢٤٣هـ (٨٥٧ م)^(١٥) .
وكان هذا المجلس من أشهر مجالس الطب في العراق في عصره ، إذ كان يجتمع فيه كثير من طلبة العلم وبخاصة طلبة الطب^(١٦) .
- ٢ - مجلس الطبيب محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣هـ (٩٢٥ م)^(١٧) .
وكان له مجلس بالري^(١٨) يحضره مئات من طلبة الطب ، وقد قال عنه ابن النديم : « وكان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخر »^(١٩) .
- ٣ - مجلس الطبيب ابن جُلجل في قرطبة^(٢٠) :
وكان بارعاً في صناعة الطب تعلمه وهو ابن أربع عشرة سنة وأفتى فيه وهو ابن أربع وعشرين سنة وكان له مجلس في قرطبة يتردد عليه طلبة الطب^(٢١) .
- ٤ - مجلس الطبيب الحسن بن نوح القُمري ببخارى :
وكان مشهوراً بصناعة الطب بارعاً في أصوله وفروعه لحق به ابن سينا وهو شيخ كبير وكان يحضر مجلسه ويلزم دروسه وانتفع به في صناعة الطب^(٢٢) .
- ٥ - مجلس الطبيب أمين الدولة هبة الله بن التلميذ المتوفى سنة ٥٦٠هـ (١١٦٤ م)^(٢٣) .
وقد كان أُوحد زمانه في صناعة الطب في بغداد، وتولى رئاسة الطب فيها، وكان له مجلس يتردد عليه طلبة الطب حتى بلغ عددهم ما يقارب الخمسين تلميذاً^(٢٤) .
- ٦ - مجلس الطبيب مُهذب الدين ابن النقاش المتوفى في دمشق سنة ٥٧٤هـ (١١٧٨ م)^(٢٥) . فقد كان له مجلس عام لتدريس الطب للمشتغلين عليه في

دمشق إلى جانب خدمته بالبيمارستان النوري الكبير في دمشق^(٢٦).

(د) البيمارستانات :

أدرك المسلمون ما تمتاز به البيمارستانات من صلاحية لتعليم الطب ، إذ الحالات المرضية ماثلة أمام أعين التلاميذ ، والأدوية والعلاجات قريبة متوافرة فاتخذوا منها - إلى جانب قيامها بمعالجة المرضى - مدارس طب قامت بدور بارز في تدريس هذا العلم ، وكان لها أثر كبير في تطور العلوم الطبية الحديثة^(٢٧) ، وكانت البيمارستانات تحتوي في الغالب على إيوان كبير للدروس يجلس فيه كبير الأطباء ومعه باقي الأطباء والطلاب ، وبجانبيهم الآلات والكتب الطبية ، ثم تجري المباحثات الطبية والمناقشات بين الأستاذ وطلابه ، ويرجعون إلى الكتب الطبية إذا احتاجوا إليها ، وكثيراً ما كان الأستاذ يصطحب تلامذته إلى داخل البيمارستان لإجراء الدروس العملية على المرضى ، فيتم من خلال ذلك الربط بين الدراسة النظرية والعملية^(٢٨) . وكان ينص في وقفية البيمارستان على تخصيص جزء من ريع الوقف للأطباء الذين يدرسون فيه^(٢٩) وقد حافظ البيمارستان طيلة العصور الإسلامية التي سبقت نشأة المدارس الطبية المتخصصة على مكانته الرائدة في تدريس الطب ، وظل هو القاعدة الأولى لتدريس هذا العلم نظرياً وعملياً ، ومع ظهور عدد من المدارس المتخصصة في العصر الأيوبي فقد ظلت البيمارستانات تؤدي وظيفة مهمة في تدريس الطب لا يمكن أن تتوافر في المدارس الطبية ، ألا وهي تقديم الدروس العملية للدارسين حيث الحالات المرضية ماثلة أمام أعينهم ، واستمر ذلك الوضع حتى وقتنا الحاضر .

ولقد انتشرت تلك البيمارستانات في العالم الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري ، وكانت أغلبها معاهد لتلقي العلوم الطبية العملية ، إضافة إلى قيامها بمهمة معالجة المرضى . وكان من أبرز تلك البيمارستانات ما يأتي :-

١ - البيمارستان العضدي ببغداد :-

ينسب هذا البيمارستان إلى الملك عضد الدولة أبي شجاع فناخسرو أحد ملوك

بني بويه^(٣١)، وهو في الجانب الغربي من بغداد ، وقد فرغ من بنائه سنة ٣٦٨هـ (٩٧٨م) وأنفق عليه مالاً عظيماً ووفر له من آلات الطب ما يعجز عن وصفه^(٣٢).

وكان به أربعة وعشرون طبيباً يقومون بمعالجة المرضى وتطبيبهم والإشراف عليهم^(٣٣).

وكان من جملة هؤلاء الطبيب أبو إسحق ، إبراهيم بن بكس^(٣٤) فقد كان يدرس الطب في هذا بیمارستان بعد انتهاء عضد الدولة من بنائه سنة ٣٦٠هـ (٩٧١م) ، إضافة إلى قيامه بمعالجة المرضى والإشراف عليهم^(٣٥).

كما كان الطبيب أبو الفرج عبدالله بن الطيب المتوفى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) يلقي دروساً طبية على تلامذته في هذا بیمارستان إضافة إلى قيامه بمعالجة المرضى فيه^(٣٦).

وكان هذا بیمارستان من أكبر الكليات الطبية التي شهدتها بغداد ، ويظهر أنه ظلّ باقياً حتى الغزو المغولي سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) حيث أصبح طعمة للخراب بعد أن خرّج في القرون الماضية طائفة كبيرة من مشاهير الأطباء^(٣٧).

٢ - بیمارستان النوري بدمشق :

وينسب هذا بیمارستان للملك نورالدين محمود بن زنكي (٥٤١ - ٥٦٩هـ / ١١٤٦ - ١١٧٤م). وكان قد أنشأه في دمشق ضمن حركته النشطة في بناء المدارس والمرافق العامة في كافة أرجاء مملكته^(٣٨). وقد اشتهر هذا بیمارستان بتدريس الطب ، إضافة إلى قيامه بمعالجة المرضى ، فقد أشار إلى ذلك الطبيب ابن أبي أصيبعة وهو يترجم لشيخه الطبيب أبي المجد بن أبي الحكم المتوفى سنة ٥٧٠هـ (١١٧٤م)^(٣٩)، فذكر أن أبا المجد كان يدور على المرضى بالبیمارستان الكبير النوري ، ويتفقد أحوالهم ويعتبر أمورهم ، وبين يديه المشارفون والقوام لخدمة المرضى ، فكان جميع ما يكتبه لا يتوخر عنهم ، وكان بعد فراغه من ذلك وطلوعه إلى القلعة وافتقاده المرضى من أعيان الدولة ، يأتي ويجلس في الإيوان الكبير الذي للبیمارستان ، وجميعه مفروش ، ويحضر كتب الاشتغال ، فكان

جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ، ويقعدون بين يديه ، ثم تجرى مباحث طبية ، ويُقرء التلاميذ ، ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات ثم يركب إلى داره^(٤١) .

وكان نور الدين محمود قد أوقف على هذا اليمارستان جملة من الكتب الطبية ، وكانت في الخُرستانين^(٤١) اللذين في صدر الديوان^(٤٢) .

٣ - اليمارستان المنصوري بالقاهرة (بیمارستان قلاوون) :

وينسب هذا اليمارستان للملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي المشهور بالألفي المتوفى سنة ٦٨٩هـ (١٢٩٠م)^(٤٣) .

وكان من جملة ما ذكره المقرئ عن هذا اليمارستان أنه جعل فيه مكاناً يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء دروس الطب^(٤٤) .

ويعد هذا اليمارستان بحق من أكبر المستشفيات وكليات الطب في تاريخ مصر في عصورها الإسلامية المبكرة ، وكان من جملة الأطباء الذين درسوا فيه :

- ١ - الشيخ ركن الدين بن القوبع المتوفى سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٨م)^(٤٥) .
- وقد ذكر الصفدي أنه كان يدرس الطب في اليمارستان المنصوري^(٤٦) .
- ٢ - الطبيب عمر بن منصور البهاري المتوفى سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م)^(٤٧) .
- ٣ - محمد بن أحمد بن إبراهيم المخزومي المتوفى سنة ٨٧٣هـ (١٤٧٨م)^(٤٨) .
- حيث ذكر السخاوي أنه درس باليمارستان المنصوري بالقاهرة^(٤٩) .

ثانياً : مدارس الطب المتخصصة :

تأخر زمن نشأة المدارس الخاصة بتدريس الطب في العالم الإسلامي إلى ما يقارب منتصف القرن السابع الهجري على الرغم من النشاط الكبير الذي شهدته مدن العالم الإسلامي في تدريس هذا العلم ، ولعل ذلك يرجع إلى أن الطب يُعدُّ من العلوم التجريبية التي لا بد أن تتوافق الدراسة النظرية فيها مع التطبيقية والتجريبية ، ولذا ظَلَّت البيمارستانات هي الأماكن الرئيسة لمهنة الطب والصيدلة من حيث التدريس والتطبيق ، ففي إيوانه كانت تُلقى الدروس والنظريات الطبية ، وفي حجراته كان طلاب الطب ينتشرون بين صفوف المرضى ويطبّقون ما درسوه عملياً بإشراف أساتذتهم الأطباء ، ومن هذه البيمارستانات كانت تخرج في أغلب الأحيان جماعات الطلبة في مختلف تخصصات الطب ، فمنهم الطبيب على عموميه ، ومنهم الجراح والفاصد والكحال والأسنان وغير ذلك ، وفي إيوانه أيضاً كانت تُعقد المناظرات والمناقشات بين الأطباء لبحث مرض استعصى أو دواء اكتشف ، أو لحل مشكلة طبية معينة ويشارك مع البيمارستانات في تدريس الطب أماكن أخرى سبق الحديث عنها . وكان لمجموعها أثر كبير في تطور الدراسات الطبية .

ولكن مع مرور الزمن أوجدت أماكن أخرى لتدريس الطب عُرفت بالمدارس الطبية ، وهي مدارس متخصصة بمعنى أنها أُنشئت خصيصاً لتدريس هذا العلم ، ولم يكن لها طابع آخر غير ذلك ، وكان لهذه المدارس أثر كبير في تطور الدراسات الطبية حيث كان يشرف عليها ويدرس فيها رؤساء الطب المتميزون والمشتهرون بالصناعة الطبية ، وكان يطبق فيها نظام تعليمي دقيق لا يختلف كثيراً عن النظم التعليمية المطبقة في المدارس العامة . ومما يذكر هنا أن هذه المدارس على الرغم من اعتمادها على الدراسات النظرية دون التطبيقية ، وهي الدراسة التي تتطلبها الدراسات الطبية المعتمدة على النظر والتطبيق ، فإن هذه المدارس كانت تشأ غالباً قرب البيمارستانات المشهورة في البلدة ، وأحياناً يتم الارتباط بين المدرسة والبيمارستان حيث يكون الأخير ميداناً لتطبيق الدراسات الطبية النظرية التي كانت

تم في تلك المدارس، وهذا واضح من قيام أحد المتميزين بصناعة الطب بالإشراف على إحدى هذه المدارس مع كونه ناظراً لإحدى البيمارستانات المجاورة، وهو ما يلاحظ كثيراً في تراجم من تولوا التدريس في هذه المدارس، وكان من أبرز مدارس الطب المتخصصة ما يأتي :-

١ - المدرسة الدُخَوَارية بدمشق :

تُنسب هذه المدرسة لمنشئها الطبيب مهذب الدين عبدالرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدُخَوَار المتوفى سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م)^(٥١) وكان إنشاءؤها لها سنة ٦٢١هـ (١٢٢٤م). وكانت داراً له، وموقعها بالصاغة العتيقة^(٥٢) قرب الزاوية الخضراء قبلي الجامع الأموي^(٥٣). وفي رواية أنها شرقي سوق المناخيلين^(٥٤)، ومكانها اليوم دور للسكنى ولا يعلم زمن دمارها^(٥٥).

المدرسون في المدرسة الدخوارية :

كان أول من درس بها واقفها الطبيب مهذب الدين الدخوار، حيث ذكر تلميذه ابن أبي أصيبعة : أنه وقَّف داره . . وجعلها مدرسة يُدرس فيها من بعده صناعة الطب، وأنه وقَّف لها ضياعاً وعدة أماكن يُستغل ما ينصرف في مصالحها^(٥٦).

ثم دَرَس بها من بعده الطبيب شرف الدين الرَّحبي المتوفى سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م)^(٥٧) وكان الدخوار قد أوصى أن يكون شرف الدين الرحبي مدرساً للدخوارية من بعده لما توسمه لديه من سعة في العلم وفهم في مسائل الطب^(٥٨).

ثم درس بها من بعده أخوه الطبيب جمال الدين الرَّحبي المتوفى سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م)^(٥٩).

ثم تولى التدريس فيها من بعده بدر الدين محمد بن قاضي بعلبك^(٦٠).

ثم عماد الدين الدُنيسري المتوفى سنة ٦٨٦هـ (١٢٨٧م)^(٦١) وهو بها إلى زمن ابن شداد، حيث ذكر أنه بها إلى الآن^(٦٢).

ثم تناوب التدريس فيها بعدهم جماعة من الأطباء الذين اشتهروا بصناعة الطب

وكان لهم أثر كبير في تدريسه ومنهم :

الطبيب كمال الدين محمد بن عبدالرحيم بن مسلم المتوفى سنة ٦٨٧هـ (١٢٨٨م)^(٦٣).

الطبيب أبو إسحق عزالدين بن السويدي المتوفى سنة ٦٩٠هـ (١٢٩١م)^(٦٤).

الطبيب جمال الدين أحمد بن عبدالله بن الحسين الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م)^(٦٥).

وقد ذكر ابن كثير أنه ولي مشيخة الدخوارية لتقدمه في صناعة الطب على غيره^(٦٥).

والطبيب أمين الدين سليمان بن داود المتوفى سنة ٧٣٢هـ (١٣٣١م)^(٦٦).

والطبيب جمال الدين محمد شهاب الدين أحمد الكحال^(٦٧).

٢ - المدرسة الدُنيسَرِيَّة بدمشق :

تُنسَب هذه المدرسة لمنشئها الطبيب عماد الدين محمد الربيعي الدُنيسري المتوفى سنة ٦٨٦هـ (١٢٨٧م) ، حيث نقل النعيمي عن الأسدي قوله : وفيها العماد محمد بن عباس بن أحمد بن عبيد بن صالح الحكيم البارع في الطب صاحب المدرسة للأطباء بالقرب من بیمارستان نورالدين الشهيد رحمه الله تعالى^(٦٨). وموقعها كما ذكر النعيمي أيضاً هو : غربي باب بیمارستان النوري والمدرسة الصلاحية في آخر الطريق من جهة القبلة^(٦٩) وقد درست وضاعت معالمها^(٧٠).

وكان أبرز من أشارت المصادر إلى تدريسه في هذه المدرسة الطبيب نجم الدين الباجربقي المتوفى سنة ٦٩٩هـ (١٣٠٠م)^(٧١).

٣ - المدرسة اللبودية النجمية بدمشق :

قال عنها ابن شداد : أنها مدرسة خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشيري ، أنشأها نجم الدين يحيى بن محمد بن اللبودي في سنة ٦٦٤هـ (١٢٦٥م)^(٧٢).

وذكر العلموي أنها شرق بستان الشموليات وبستان اللبودي وكلاهما وقف الجامع الأموي عند جسر النهر الصغير الخارج من حمام الفلك مقابل بابه وأنها في وقته خراب^(٧٣).

وقد ذكر محمد كرد علي أنها درست وضاعت معالمها ولم يبق لها أي أثر في وقتنا الحاضر^(٧٤).

ولم نلاحظ بتفصيلات واسعة عن العلماء الذين تولوا تدريس الطب في هذه المدرسة، وكل ما ذكر في ذلك هو ما أورده ابن شداد بقوله: « أول من درس بها جمال الدين الزواوي، وسافر عنها، وقتل على القصب في طريق حمص، ثم تولى بعده المعزبي، وهو مستمر بها إلى الآن»^(٧٥).

٤ - إيوان الطب في المدرسة المستنصرية ببغداد :

تم إنشاء إيوان الطب في المدرسة المستنصرية ببغداد^(٧٦) بعد عامين من تمام إنجاز المدرسة، ففي سنة ٦٣٣هـ (١٢٣٥م)، كما يذكر ابن الفوطي، تكامل بناء الإيوان المقابل للمستنصرية، وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب^(٧٧).

وكان على الطبيب المدرس في هذا الإيوان أن يزور المرضى ويتفقد أحوالهم صباح كل يوم ويصف لكل منهم ما يلزمه من دواء^(٧٨).

وقد أصبح هذا الإيوان نواة لازدهار الدراسات الطبية في بغداد، وكان المشرف على قسم الطب في المستنصرية مشرفاً عاماً على جميع أطباء العراق^(٧٩). وكان أشهر من تولى تدريس الطب في هذا الإيوان :

* الطبيب شمس الدين ابن الصباغ الذي ذكر عنه ابن الفوطي أنه كان بارعاً في علم الطب^(٨٠).

* الطبيب مجد الدين أبو علي الحكيم البغدادي والمعروف بسنجر^(٨١)، قدم بغداد سنة ٦٨٨هـ (١٢٨٩هـ) ومعه فرمان من السلطان أرغون بخزانة كتب المستنصرية وأن يمتحن الأطباء والصيادلة بالعراق، فمن ارتضاه أقره على عمله،

ومن لم يرضه يستبدل به من يراه أهلاً لذلك^(٨٢)، وكان من شروط الواقف لهذه المدرسة أن يكون بها عشرة من الطلاب المسلمين ، يدرسهم طبيب حاذق مسلم^(٨٣).

وقد زالت آثار مدرسة الطب في المستنصرية ولم يبق لها أثر^(٨٤).

٥ - مدرسة باتكين الطبية بالبصرة :

تنسب هذه المدرسة إلى الأمير شمس الدين باتكين بن عبدالله والي البصرة المتوفى سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٣م)^(٨٥).

ولم تشر مصادر البحث أو مراجعه إلى مزيد من المعلومات عن هذه المدرسة أو من تولوا التدريس فيها ، وكل ما وجد عنها هو هذه الإشارة التي وردت عن مؤسسها .

٦ - المدرسة المهدبية بمصر :

تُنسب هذه المدرسة إلى الطبيب مهذب الدين أبي سعيد محمد بن أبي الوحش المعروف بابن أبي حُلَيْقة المولود في القاهرة سنة ٦٢٠هـ (١٢٢٣م)^(٨٦). وقد بناها الطبيب مهذب الدين خارج القاهرة، وموقعها خارج باب زويلة من خط حارة حلب بجوار حمام قماري^(٨٧) وهي لا تزال موجودة إلى اليوم بعطفة مراد بك^(٨٨). وقد أدت هذه المدرسة وظيفتها في نشر الثقافة الطبية بمصر بشكل كبير حيث درّس فيها عدد من أساتذة الطب المتميزين ، وخرّجت عدداً كبيراً من طلبة الطب^(٨٩).

ثالثاً : نظم تدريس الطب وطرائقه وآدابه :

مما يشار إليه هنا أن تعليم الطب عند المسلمين لم يكن يتم بطريقة عشوائية ودون تنظيم ، بل إنه كان يتم حسب شروط وضوابط دقيقة يشرف على تنفيذها ولاية الأمر في كثير من الأحيان ، مما كان له أثر واضح في تطور الدراسات الطبية وازدهارها .

فبعد قيام الحركة التدريسية لدراسة الطب النظري والعملية سواء في
البيمارستانات أو المدارس الطبية المتخصصة دخلت على هذه المهنة بعض القيود
والضوابط المنظمة لها، حيث لم تعد هذه الصناعة مباحة لكل من أراد، وإنما
أصبح في كل مدرسة أو بيمارستان هيئة تدريسية خاصة يعينون من قبل السلطان أو
الوزير، ويختارون من ذوي الشهرة والسمعة العلمية العالية، وكانت إدارة
البيمارستان أو المدرسة منوطة برئيس الأطباء الذي كان يُختار عادة من كبار الأطباء
وأشهرهم سمعة وعلماً.

كما اعتمدت الدراسات الطبية وتعليمها على الناحيتين النظرية المكتبية القائمة
على دراسة المادة الطبية من خلال الكتب والمصادر الطبية الأساسية، والناحية
العملية القائمة على مراقبة المرضى داخل البيمارستانات وتشخيص أمراضهم
ومعالجتها وتدوين الملاحظات اللازمة عن كل مريض.

كما فرض على من يريد ممارسة الطب أو تدريسه تأدية امتحان أمام كبير الأطباء
في الفرع أو المهنة التي يريد الإجازة فيها.

وكانت أبرز ملامح تنظيم المدارس الطبية في الحضارة الإسلامية ما يأتي :

١ - تسمية المدارس الطبية وأوقافها :

لم تختلف المدارس الطبية المتخصصة عن غيرها من المدارس في نظم
تسميتها والأوقاف الخاصة بها، فقد كانت المدارس تسمى في أغلب الأحيان باسم
منشئها أو واقفها، وقلما عُرفت باسم مدرستها أو جهة وجودها. وكان منشئها يقف
عليها من الأوقاف ما يكفي للصرف عليها، وصيانتها، وللإنفاق على مدرسيها
وطلبتها ومستخدميها، كما كان يحدد في حجة الوقف عدد من يشتغلون بهذه
الصناعة من المدرسين والطلاب وصفاتهم، فقد اشترط الواقف لإيوان الطب في
المدرسة المستنصرية ببغداد أن يكون بها عشرة من الطلاب المسلمين يدرسه
طبيب حاذق مسلم^(١).

٢ - رئاسة الطب :

كانت إدارة البيمارستان أو المدرسة تُسند في الغالب إلى رئيس الأطباء وهذا يقابل في عصرنا الحاضر عميد كلية الطب أو رئيس الأطباء في المستشفيات الكبرى ، حيث كان يُختار في العادة من كبار الأطباء وأشهرهم سمعة وعلماً . وكان يعاونه رؤساء لفروع الطب المتعددة . من ذلك ما ذكره القلقشندي ضمن وظائف أرباب الصناعات بدمشق حيث قال : ومنها « رئاسة الطب ، ورئاسة الكحالين ، ورئاسة الجراحية - وكلها على نحو ما تقدم في الديار المصرية وولاية كل منها بتوقيع كريم عن النائب »^(١).

وكان لا بد لمن يرشح لهذه الرئاسة من توقيع سلطاني ، وذلك بسبب الأهمية الكبرى المتعلقة بهذا المنصب ، وقد أورد القلقشندي ضربين من هذه التوقيعات يتضح من خلال استعراضهما أهمية صناعة الطب وتفاوت رتب الأطباء والشروط والآداب التي ينبغي أن تتوافر في كل من يتصدر لصناعة الطب ، وواجبات الرئيس في فحص الأطباء وامتحانهم ، والمطالبة في إقصاء كل من لا يمتلك المؤهلات العلمية ، وهذا لا يتم إلا بعد إجراء امتحان خاص بهم^(٢).

٣ - تدريس الطب وطرائقه :

تؤكد مصادر البحث المتعددة أنه لم يكن يتصدر لتدريس الطب إلا من كانوا من الرؤساء الطبائعيين أو الكحالين أو الجراحين أو غيرهم ممن برز واشتهر في مجال الطب علماً وخبرة ، وكان لا بد من توقيع خاص بتدريس الطب ، وقد أورد القلقشندي توقيعاً يتضمن تعيين الطبيب مهذب الدين بن الموفق بن النجم لتدريس الطب في البيمارستان المنصوري بالقاهرة (بيمارستان قلاوون) . وقد استهل المؤلف هذا التوقيع بالمقدمة التقليدية المعروفة في نثر هذا العصر ، وتحدث من خلال ذلك عن العلماء الأعيان والأخبار من أهل العلم بالطب وأبرز الوصايا والواجبات الملقة على عاتق المدرس في البيمارستان المنصوري^(٣) . ولعله من المفيد للبحث أن نستعرض بعضها هنا :-

« وليجمع عنده شمل الطلبة ، وليعط كل طالب منهم ما طلبه ، وليبلغ كل متمنٍّ من الاشتغال أربه ، وليشرح لهم صدره ، وليبذل لهم من عمره شطره ، وليكشف لهم من هذا العلم المكنون سرّه ، وليُرهم ما خفي عنهم منه جهره »^(٩٤).

وينتقل المؤلف بعد ذلك ليوصي هذا المدرس بضرورة توجيه طلبة هذا العلم إلى ضرورة التخصص في بعض فروعهِ ، ومنه قوله : « وليجعل منهم جماعة طبائعية - يقصد أطباء الأمراض الباطنية - وطائفة كَحَّالين - ويقصد بهم أطباء العيون - وجراحية ، وقوماً مجبرين ، وبالحديد عاملين ، وأخرى بأسماء الحشائش وقوى الأدوية وأوصافها عالمين »^(٩٥).

ثم ينتقل بعد ذلك إلى بعض الوصايا المهمة لمن يمارس هذه الصناعة فيقول : « وليأمر كلاً منهم بحفظ ما يجب حفظه ، ومعرفة ما يزيد به حظه ، وليأخذه بما يُصلح به لسانه ولفظه ، ولا يفتر عنهم في الاشتغال لحظة ، وليفرد لكل علم من العلوم طائفة ، ولكل فن من فنونه جماعةً بمحاسنه عارفة ، وليصرف إليهم من وجوه فضائله كلّ عارفة ، وليكشف لهم ما أشكل عليهم من غوامضه فليس لها من دون إيضاحه كاشفة »^(٩٦) وهذا التوقيع وما اشتمل عليه من شروط ووصايا وآداب هو غاية في الأهمية . ويؤكد لنا ما وصلت إليه آداب الطب وتعليمه من رقي وازدهار في ظل الحضارة الإسلامية .

طرائق التدريس :

تختلف طرائق تدريس الطب عن غيره من العلوم لكونه من العلوم التجريبية التي ينبغي أن تعتمد في تعلمها على الناحيتين (النظرية) التي تعنى بدراسة مادة الطب من مصادرها الأساسية ، (والعملية) التي تعنى بمتابعة المرضى داخل البيمارستانات وتشخيص أمراضهم ومعالجتها وتدوين ما يلاحظ في ذلك ، ويتمثل هذان الأسلوبان فيما يأتي :

الناحية النظرية :

كان لا بد لمن أراد تعلم الطب أن يبدأ أولاً بدراسة مادته نظرياً وفق ما يأتي :

(أ) دراسة الكتب الطبية الأساسية بنفسه أو بإشراف أحد أساتذته المختصين وفق منهج تعليمي منظم ، فيقوم بقراءة كتب جالينوس وأبقراط ، وحنين بن إسحق ، والرازي وابن سينا وغيرهم في التشريح ومنافع الأعضاء ومختلف الأمراض ، وكانت هذه الدراسة ضرورية لمن أراد تعلم الطب .

(ب) التدوين : وهو من العناصر الأساسية لدراسة الطب ، إذ يُعدُّ أول المعرفة الحقة بالطب ، حيث لم يكن يسمح لطلبة الطب المبتدئين أن يقطعوا برأي في العلل أو العلاجات ما لم يسبق ذلك تدوين لكثير من آراء الأطباء المشهورين من السابقين والمعاصرين ، وكذلك تدوين المشاهدات الخاصة بهم واختباراتهم الشخصية .

(جـ) حضور الدروس المنظمة التي كان يعقدها الموصوفون بصناعة الطب ، وقد وصف لنا ابن أبي أصيبعة الدروس الطبية التي كان يعقدها شيخه الطبيب مهذب الدين عبدالرحيم بن علي الدخوار المتوفى سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م)^(٩٧) ، حيث قال : « وكان الشيخ مهذب الدين رحمه الله إذا تفرغ من اليمارستان ، واقتقد المرضى من أعيان الدولة وأكابرها وغيرهم ، يأتي إلى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة ، ولا بد له مع ذلك من نسخ ، فإذا فرغ منه أذن للجماعة فيدخلون إليه ويأتي قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين ، وكان يقرأ كل واحد منهم درسه ، ويبحث معه فيه ، ويفهمه إياه بقدر طاقته ويبحث في ذلك مع المتميزين منهم إن كان الموضوع يحتاج إلى فضل بحث ، أو فيه إشكال يحتاج إلى تحرير ، وكان لا يقرئ أحداً إلا وييده نسخة من ذلك الكتاب يقرأه ذلك التلميذ ، ينظر فيه ويقابل به^(٩٨) .

الناحية العملية التطبيقية :

لقد اتبع الأطباء المسلمون الطريقة العملية الصحيحة في دراسة الطب وتشخيص الأمراض وعلاجها والمسماة حديثاً بالطريقة الكلينيكية أو السريرية ، والتي لم يأخذ بها الغرب إلا في عصور متأخرة وكانت هذه الطريقة تشمل ما يلي :

(أ) مراقبة المرضى وملازمتهم داخل البيمارستانات للتعرف على أمراضهم وما يوصف لهم من علاجات وأثر تلك العلاجات على حالة المرض وتدوين كل ذلك في مذكراتهم .

(ب) مراقبة كبير الأطباء عند فحصه ومعالجته للمرضى ومرافقته في المرور على المرضى لتفقد أحوالهم ، يقول ابن أبي أصيبعة عن شيخه الطبيب مهذب الدين الدخوار : « لازمته أيضاً في وقت معالجته للمرض بالبيمارستان فتدربت معه في ذلك وياشرت أعمال صناعة الطب »^(١٩) . ثم يقول : « فكنت بعدما يفرغ الحكيم مهذب الدين والحكيم عمران من معالجة المقيمين بالبيمارستان ، وأنا معهم ، أجلس مع الشيخ رضي الدين الرجي فأعابن كيفية استدلاله على الأمراض ، وجملته ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم ، وأبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها »^(٢٠) .

(ج) حضور المناقشات والمناظرات والاجتماعات العلمية التي كانت تدور بين أساتذة الطب حول مرض لم يظهر لمعالجة أو مريض لم يتوصل الطبيب لتشخيص مرضه . يشير إلى ذلك ابن أبي أصيبعة وهو يترجم لشيخه الطبيب أبي المجد بن أبي الحكم المتوفى سنة ٥٧٠هـ (١١٧٤م) ، فيذكر أن أبا المجد كان يدور على المرضى بالبيمارستان الكبير النوري بدمشق ويتفقد أحوالهم ، ويعتبر أمورهم وبين يديه المشارفون والقوام لخدمة المرضى ، فكان جميع ما يكتبه لا يتوخر عنهم ، وكان بعد فراغه من ذلك وطلوعه إلى القلعة وافتقاده المرضى من أعيان الدولة يأتي ويجلس في الإيوان الكبير الذي في الإيوان الكبير الذي للبيمارستان ، وجميعه مفروش ، وبحضر كتب الاشتغال ، فكان جماعة من الأطباء والمستغلين يأتون إليه ، ويقعدون بين يديه ثم تجري بينهم مباحث طبية ، ويقرئ التلاميذ ، ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات ثم يركب إلى داره^(٢١) .

ثم يشير إلى ذلك ابن أبي أصيبعة أيضاً في موضع آخر وهو يترجم لشيخه الطبيب مهذب الدين بن الدخوار فيقول : « وكان في ذلك الوقت أيضاً معه

في البيمارستان لمعالجة المرضى الحكيم عمران وهو من أعيان الأطباء وأكابرهم في المداواة والتصرف في أنواع العلاجات ، فتضاعفت الفوائد المقتبسة من اجتماعهما ، ومما كان يجري بينهما من الكلام في الأمراض ومداواتها وما كانا يصفاه للمرضى «^(١٠٢)» .

(د) القيام بدراسات عملية على المرضى وتجربة العلاجات الجديدة عليهم وتدوين ذلك مع الحرص على عدم المجازفة في الأمر ، أو إصابة أي مريض بأي أذى . ومن ذلك التجارب التي كان يقوم بها الطبيب صاعد بن بشر بن عبدوس^(١٠٣) في بيمارستان بغداد ، فقد خالف القدماء لأول مرة بمعالجة كثير من الأمراض التي اشتهرت معالجتها بالأدوية الحارة إلى المداواة بالتبريد والترطيب والحجب عن الغذاء والمداواة بماء الشعير ، ومياه البزور فأظهر في المداواة عجائب^(١٠٤) .

٤ - نظم الامتحانات والإجازات العلمية :

لم يكن لصناعة الطب في بداية الدولة الإسلامية ضابط أو قيد ، وإنما كان أحدهم إذا أراد أن يكون طبيباً يكفيه بأن يقرأ كتاباً من الكتب الطبية المشهورة على أحد أطباء عصره ، فإذا أحس من نفسه أنه تعلم الصنعة مارسها دون امتحان ، وبقيت الحال كذلك حتى أوائل القرن الرابع الهجري أيام الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢م) الذي وضع نظاماً معيناً لصناعة الطب ، وفرض على من يريد ممارسة الطب أو تدريسه تأدية امتحان ينال النجاح فيه إجازة يسمح له بعدها بمزاولة هذه المهنة تطبيقاً أو تدريساً . ولعل مما دعا الخليفة المقتدر إلى هذا الإجراء هو ما رواه ابن أبي أصيبعة عن ثابت بن سنان^(١٠٥) قوله : « ولما كان في سنة تسع عشرة وثلاثمائة اتصل بالمقتدر أن غلطاً جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل ، فأمر إبراهيم بن محمد بن بطحا بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه والذي سنان بن ثابت^(١٠٦) وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له من الصناعة . فصاروا إلى والدي وامتحنهم ، وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه ،

وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيفاً وستين رجلاً ، سوى من استغنى عن مهنته باشتهاره بالتقدم في صناعته ، وسوى من كان في خدمة السلطان »^(١٠٧).

ومنذ ذلك الحين ساروا في جميع بلاد المسلمين على نظام الامتحانات ، وأصبح طالب الطب متى ما أتم دروسه في الطب يتقدم إلى رئيس الأطباء في بلده يطلب منه إجازة في ممارسة هذه الصناعة .

وقد تعرض الطبيب مهذب الدين بن هبل المتوفى سنة ٦١٠هـ (١٢١٣م) في كتابه الكبير المختارات في الطب لمؤهل الطبيب وامتحانه فقال : « مما يمتحن به الطبيب حتى يوثق بعلمه وعمله أن ينظر في ماذا أنفق زمانه إن كان الاشتغال بهذه الصناعة ، وملازمة خدمة الكبراء من أهلها ، وطول ملازمتهم والقراءة عليهم ، والعلاج بين أيديهم ، والتدريب على الدخول إلى المرضى في بيوتهم ، وملازمة خدمة البيمارستان الذي يجتمع فيه حذاق الأطباء ، وكثرة نظره إلى معالجة الأستاذ ، فيشار إليه ويعدّ عليه ، وكذلك هل يثني عليه الناس لحسن سيرته وديانته ، وأن همته إذا خلا في بيته مطالعة الكتب ودراسة هذه الصناعة »^(١٠٨).

وكان طالب الطب يتقدم إلى أستاذه برسالة في الفرع الذي يؤدّ التخصص فيه كالجراحة مثلاً أو الكحالة ، وهذه الرسالة أشبه ما تكون بالأطروحة في زماننا هذا ، وتكون الرسالة إما تأليف الطالب نفسه ، أو لأحد الأطباء المتقدمين أو المعاصرين فيمتحنه فيها وبما يتعلق بالطب بصورة عامة والفرع الذي تخصص به الطالب بصورة خاصة ، فإذا اقتنع الأستاذ بأجوبته ومقدرته على ممارسة المهنة أخذ منه عهد أبقرط في الطب ، وأذن له بالعمل بإعطائه إجازة يحق له بموجبها ممارسة هذه الصناعة^(١٠٩) . وحرصاً على تنفيذ هذه اللائحة الطبية فيما يتعلق بالامتحانات وتخصيص الأطباء ، فقد وضع القائمون على هذه الصناعة امتحاناً في كل فرع من فروع الطب ، من ذلك ما جاء عن امتحان الجراحة لجراح جاء فيه :

هل درس هذا الجراح تشريح وجراحة (باولس نون أجيينا ، أو كتب علي ابن العباس) ؟ وهل يلم هذا الجراح بجبر العظام والالتواء ومعالجة الحصوة واللوز

وإزالة سحابة العين وفتح الخراجات ؟ ، وهل هو مُلَّم بالبر أو فتح الجمجمة ؟ وكان إذا نجح الطالب يمنح إجازة تجيز له مهنة الطب تخصص الجراحة ، وهي تنص بعد البسملة على منح الطالب حق ممارسة مادة تخصصه حتى شفاء المريض ، كما تذكر حقه في فصد العرق وإزالة البواسير وخلع الأسنان وخياطة الجروح وختان الرضع . . كذلك تحتم عليه وجوب استشارة رؤسائه ومعلميه ذوي الخبرة ، والمعرفة^(١١) .

٥ - الكتب الطبية التي تدرس :

لم تكن دراسة الطب في الحضارة الإسلامية تسير وفق نمط واحد عبر العصور الإسلامية المتتابعة ، فقد برز خلال القرون الهجرية الخمسة الأولى عديد من الأطباء المسلمين الذين تلقوا تعليمهم الطبي على كتب الأوائل من اليونانيين أمثال أبوقراط وجالينوس وغيرها من الكتب التي انتخبها الأقدمون ، ثم منذ بداية القرن السادس الهجري بدأت تظهر المدرسة الطبية الإسلامية التي تعدُّ لبنة أساسية للدراسات الطبية في بلاد الغرب في العصور الحديثة . فبدأت هذه المدرسة تفرض نتائجها ومناهجها محل كتب الأقدمين ومناهجهم وظلت كتبهم هي المصادر الأساسية لدراسة الطب في العالم الإسلامي وأوروبا حتى عصور قربية .

ويمكن من خلال تتبع مصادر البحث المختلفة تصنيف الكتب التي كان يهتم بها دارسو الطب إلى فئتين رئيسيتين على النحو الآتي :-

(أ) الكتب اليونانية القديمة :

وتتركز هذه الكتب في المدرسة اليونانية القديمة التي اشتهرت بصناعة الطب قبل الإسلام . ويمثل هذه المدرسة العالمان البارزان أبوقراط^(١٢) وجالينوس^(١٣) اللذان صنفاً كثيراً من الكتب الطبية التي أصبحت أساساً في دراسة الطب وتدريبه أجيالاً وقروناً عديدة ، فكتب أبوقراط اشتهر منها اثنا عشر كتاباً هي^(١٤) :

كتاب الأجنة وكتاب طبيعة الإنسان وكتاب الأهوية وكتاب الفصول^(١٥) وكتاب مقدمة المعرفة^(١٦) وكتاب الأمراض الحادة وكتاب أوجاع النساء وكتاب أبيديميا (الأمراض الحادة) وكتاب الأخلاط وكتاب الغذاء وكتاب قاطيطريون «حانوت

الطبيب» وكتاب الكسر والجبر .

أما جالينوس فقد صنّف كثيراً من الكتب الطبية وغيرها من الكتب التي تخدم صناعة الطب ، وقد حصرها ووصفها في كتابه «بينكس» ويعني الفهرست ، وكانت أبرز هذه الكتب ما يأتي :-

كتاب الفرق^(١١١) وكتاب الصناعة الصغيرة وكتاب النبض الصغير وكتاب في التأني لشفاء الأمراض (اغلقون) وكتاب في العضل وكتاب في العصب وكتاب الاسطقسات وكتاب المزاج^(١١٢) وكتاب القوى الطبيعية وكتاب العلل والأعراض^(١١٣) وكتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة وكتاب النبض الكبير وكتاب أصناف الحميات وكتاب أيام البهران وكتاب حيلة البراء وكتاب علاج التشريح .

إلى غير ذلك من الكتب التي سردها كل من ابن النديم وابن أبي أصيبعة والتي تتجاوز المائة كتاب^(١١٤) وقد حظيت تلك الكتب بكثير من الشروحات والاختصارات من كثير من أطباء المسلمين .

أما الكتب التي انتخبها أطباء الإسكندرية فكانت في القرن السادس الميلادي ، حيث ركّز بعض أطباء الإسكندرية^(١١٥) لتلامذتهم على أربعة من كتب أبقرات الطبية وستة عشر كتاباً من كتب جالينوس ، وهذه الكتب هي :

كتب أبقرات :

كتاب الفصول وكتاب مقدمة المعرفة وكتاب الأمراض الحادة وكتاب الأهوية والمياه والبلدان .

كتب جالينوس وهي سبع مراتب :

المرتبة الأولى : أربعة كتب وجعلت بمثابة المدخل إلى الطب وهي :
كتاب الفرق وكتاب الصناعة الصغيرة وكتاب النبض الصغير والكتاب المسمى باغلقون وهو كتاب (التأني لشفاء الأمراض) .

المرتبة الثانية : أربعة كتب ويستفاد منها في الأمور الطبيعية وهي :
كتاب الإسطقسات وكتاب المزاج وكتاب القوى الطبيعية وكتاب التشريح
الصغير .

المرتبة الثالثة : كتاب واحد فقط يستفاد منه في معرفة الأمراض وأسبابها
وأعراضها : وهو كتاب العلل والأعراض .

المرتبة الرابعة : كتابان هما :

كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة . وكتاب النبض الكبير .

المرتبة الخامسة : ثلاثة كتب هي :

كتاب الحميات وكتاب البحران وكتاب أيام البحران .

المرتبة السادسة : كتاب واحد فقط هو كتاب حيلة البرء .

المرتبة السابعة : كتاب واحد فقط هو كتاب تدبير الأصحاء^(١٢) .

(ب) الكتب الإسلامية :

منذ بداية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) بدأت مؤلفات طبية
إسلامية في الظهور ، وهي تُعدُّ بداية بروز مدرسة طبية جديدة أثبتت تفوقها العلمي
على كثير من كتب القدماء ، وبدأت هذه المدرسة منذ ذلك الوقت تحلُّ كتبها ومناهجها
محل كتب ومناهج القدماء ، وأصبحت فيما بعد هي المصادر الوحيدة لتعليم الطب في
الديار الإسلامية وأوروبا إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر
الميلادي) ، ولقد كثرت الكتب الطبية الإسلامية بأيدي تلامذة الطب بعد هذا
القرن ، ويمكن تصنيفها إلى ما يأتي :-

١ - كتب المدخل إلى الطب :

وقد اشتهر منها كتاب المسائل لحنين بن إسحق . وهذا الكتاب يعد مدخلاً لدارس
الطب ، لأن مؤلفه قد جمع فيه جملاً وجوامع تجري مجرى الأوائل والبدایات لتعلم هذا

العلم ، وقد اختصره حيناً ، وشرحه حيناً وعلق عليه حيناً آخر كثير من أطباء ذلك العصر^(١٢٢) .

٢ - كتب المشاهدات العلمية :

وقد اشتهر منها : «كتاب الحاوي» لأبي بكر الرازي ، وهو من أخص مؤلفاته ، ويقع في ثلاثين مجلداً حسب رواية أبي الفداء ، وفي اثني عشر مجلداً حسب الفهرست لابن النديم . وهو من أجل كتب الرازي وأعظمها في صناعة الطب ذلك أنه جمع فيه كل ما وجده متفرقاً في ذكر الأمراض ومداواتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ومن أتى بعدهم إلى زمانه ، ونسب كل شيء نقله فيه إلى قائله ، وقد نال هذا الكتاب من العناية الشيء الكثير فاختصر حيناً وعلق عليه حيناً آخر^(١٢٣) ، وقد قال عنه ابن خلكان أنه من الكتب الكبار يدخل في مقدار ثلاثين مجلداً ، وهو عمدة الأطباء في النقل منه والرجوع إليه عند الاختلاف^(١٢٤) ويؤكد مايرهوف أن هذا الكتاب يعدُّ أوسع مؤلف طبي توصل إليه طبيب ، وأنه يتضمن كل ما توصل إليه الطب السرياني ، والطب العربي من معرفة واكتشافات ، وأنه قد جمع فيه الآراء والمعلومات من كتب الطب التي كان يعكف على قراءتها والنظر فيها ، فيدرجها جنباً إلى جنب مع تجاربه الطبية ، وقد جمعها كلها في أواخر أيامه وعمل منها هذا الكتاب المدرسي العظيم^(١٢٥) .

وقد حظي هذا الكتاب بكثير من الشروحات والاختصارات والتعليقات من قبل عديد من أطباء المسلمين وغيرهم مما يؤكد أهميته البالغة في هذا العلم^(١٢٦) .

٣ - الكتب الموسوعية المبسطة :

ومن أشهرها كتاب القانون في حد الطب لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٦) وقد نال هذا الكتاب من علماء العصر ما لم ينله كتاب سواه فاختصر ، وشرح ، ووضعت عليه الحواشي الكثيرة والتعليق العديدة^(١٢٧) ، كما نال من الأوربيين إعجاباً شديداً وكثر الطلب عليه ، حتى أنه طبع في آخر ثلاثين سنة من القرن الخامس عشر الميلادي ست عشرة طبعة ، واحدة منها باللغة العبرية والباقي باللاتينية ، وفي غضون القرن السادس عشر أعيد طبعه أكثر من عشرين مرة^(١٢٨) .

٤ - الكتب المتخصصة :

ومن أشهرها :

(أ) كتاب العشر مقالات في العين لحنين بن إسحاق^(١٢٩).

(ب) كتاب الجراحة وهو الباب الثلاثون من كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» لأبي القاسم خلف ابن العباس الزهراوي المتوفى سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م)^(١٣٠) حيث كان هذا الباب شرطاً في ممارسة الجراحة^(١٣١) وقد نشر باللغة اللاتينية باسم (Chirargia) وقال عنه بالنيثا صاحب كتاب تاريخ الفكر الأندلسي إنه أهم وأذيع كتاب في تاريخ الطب كله ، وإن الزهراوي قد ارتفع به في أعين الناس إلى طبقة أبقراط وجالينوس وأنه يحوي رسوم الآلات الجراحية وهو أول مؤلف جعل الجراحة علماً قائماً بذاته مستقلاً عن الطب وأقامها على أساس من العلم بالتشريح^(١٣٢).

(ج) رسائل ابن مندويه الأصفهاني المتوفى سنة ٤١٠هـ (١٠١٩م)^(١٣٣).

وهي رسائل متخصصة تبلغ الأربعين منها : رسالة في تركيب طبقات العين ، ورسالة في وصف المعدة والقصد لعلاجها ، ورسالة في علاج شقاق البواسير ، ورسالة في ضعف الكلى إلى غير ذلك من الرسائل الطبية المفيدة^(١٣٤).

(د) كتاب مقالة في الحواس للطبيب موفق الدين عبداللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩هـ (١٢٣١م) وهو الكتاب الطبي الوحيد الذي بقي للطبيب موفق الدين البغدادي وقد نشره الطبيب فيصل دبذوب في مجلة مجمع اللغة العربية دمشق سنة ١٩٧٠م^(١٣٥).

الخاتمة :

وبعد . . فإن تدريس الطب في الحضارة الإسلامية قد مرّ بأطوارٍ كثيرة وتطورات عديدة حتى نما واتخذ شكله المتكامل الناضج المتمثل بكلّيات الطب التخصصية التي تعد من أبرز مظاهر الحضارة الطبية الإسلامية .

لقد كان منشأ المدارس الطبية المتخصصة في بلاد الشام حيث أنشئت أول مدرسة تخصصية سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠م) في دمشق وهي المدرسة الدخوارية نسبة للطبيب مهذب الدين عبدالرحيم بن علي حامد المعروف بالدخوار ، وبعد هذا نهاية المطاف بالنسبة لتطور دراسة الطب النظري ، حيث أصبح لتدريس الطب مدارس نظامية على غرار المدارس النظامية الأخرى ، غير أن عدد هذه المدارس كان قليلاً ، ولم يكن انتشارها واسعاً . ولعل ذلك يرجع إلى كون الطب من العلوم التجريبية التي تعتمد في دراستها على الدراسة التطبيقية إلى جانب الدراسة النظرية لذا فقد ظلت البيمارستانات هي الأماكن الأنسب لتدريس هذا العلم ، حيث الحالات المرضية ماثلة أمام أعين التلاميذ والأدوية والعلاجات قريبة متوافرة ، وقد استمر هذا الوضع إلى وقتنا الحاضر .

ومما يُلاحظ في هذا الجانب أن هذه المدارس - لكي تتوافر فيها شروط الدراسة العلمية الصحيحة لمثل هذا العلم والتي تعتمد على الجانبين النظري والتطبيقي - كانت تنشأ في الغالب في أماكن قريبة من إحدى البيمارستانات المشهورة في البلدة ، وكان الارتباط بين المدرسة والبيمارستان قائماً بحيث يكون الأخير ميداناً لتطبيق العلوم الطبية النظرية التي كانت تتم في تلك المدارس ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إنه كان يتم تكليف أحد المميزين بصناعة الطب بالإشراف على المدرسة مع كونه ناظراً في البيمارستان حتى يضمن التعاون بين المؤسستين .

ومما يميز تلك المدارس أنه كان يشرف عليها ويدرس فيها في الغالب أساتذة الطب المتميزون الذين وصلوا في مستوياتهم إلى الرئاسة في هذه الصناعة ، وقد وضع ذلك جلياً من خلال تراجم الأطباء الذين درسوا في تلك المدارس .

ومما يذكر هنا أنه ، إلى جانب ظهور تلك المدارس المتخصصة والأثر الذي تركته في تدريس هذا العلم ، كان طالب الطب يلزم أحياناً بالتخصص في بعض فروع الطب كما كانت تشترط بعض الشروط الملزمة لمن يتصدى لدراسة الطب أو تدريسه ، ويلزم المتخرج بالتزام آداب هذه المهنة وشروطها ، إضافة إلى خضوع هذه المهنة لمراقبة دقيقة ومتابعة مستمرة من جانب ولاية الأمر في البلد لخطورة هذه الصناعة وأهميتها . وبعد فإنني أرجو أن أكون قد وقفت في تناول أبعاد هذا الموضوع وجوانبه ، وأن تكون هذه الدراسة نواة لدراسات أوسع وأشمل للكشف عن المزيد مما حوته حضارتنا الإسلامية المجيدة . والحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة .

ملاحق :

(١) نسخة توقيع برياسة الطَّبِّ ، في الديار المصرية^(١٣٦) :

الحمد لله مؤتي الحكمة من يشاء من عباده ، ومعطي أمانة الأرواح من ترقى في حفظها إلى رتبة اجتهاده ، وجاعل علم الأبدان أحد قسمي العلم المطلق في حالي اجتماعه وانفراده ، وموفق من جعل نصيح خلق الله فيه سبباً لسعادة دنياه وذخيرة صالحه ليوم معاده ، ومبلغ من كان دائماً في إعانة البرية على طاعة ربها بدوام الصحة غاية مرامه وأقصى مراده ، ورافع رتبة من دل اختياره على وفور علمه ونجح علاجه وإصابة رأيه وسداده .

نحمده على نعمه التي خصت بنعمنا من كَمُل في نوعه وفضله وحسن في علمه وعمله قوله وفعله ، وجمع من أمانة وظيفته ومعرفتها ما إذا جلس في أسنى مناصبها قيل : هذا أهله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تشرق البصائر ، بأضوائها وتفرق^(١٣٧) الضمائر بإخلاصها من أدوائها ، وتغدق بيمينها أنواء التوفيق فتتأرجح رياض الإيمان بين روائها وإروائها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنارت ملته ، فلم تحف على ذي نظر ، وعلت أدلته ، فلم ينلها من في باع رويته قصر ، وبهرت معجزاته فلو حاولت الأنفاس حصرها أفناها العي والحصر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا لأدواء القلوب علاجاً ، وللسبيل الإيمان مزاجاً

، وللبصائر السائرة في دجى الشبهات سراجاً ، صلاة دائمة الإقامة ، متصلة الدوام إلى يوم القيامة ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد : فإن صناعة الطب علم موضوعها حفظ الأبدان النفيسة ، ومقصودها إعانة الطبيعة على حماية الأعضاء الرئيسة ، ومدارها الأعم ، على معرفة العوارض وأسبابها ، ومدرَكها الأتم ، والوقوع على الصواب في معرفة الجسوم وأوصائها ، وحينئذ تتفاوت رتب أهلها عند تشعب مداركها ، واختلاف مسالكها ، وتشابه عللها ، والتباس صوابها بخللها ، إذ لا يميز ذلك حق تمييز إلا من طال في العلم تبحره ، وحسن في رتب هذا الفن تصدره ، وطابق بين نقله وعلاجه ، وعرف حقيقة كل مركب من الأدوية ومفرد بعينه واسمه وصفته ومزاجه ، وتكررت عليه الوقائع فعرفها دربة وأحكمها نقلاً ، ولقب بشرعة التقوى إذ كان الإقدام على النفوس قبل تحقق

الداء والدواء مذموماً شرعاً وعقلاً ، ولذلك تحتاج إلى رئيس ينعم في مصالحها نظره ، ويحمل في منافعها ورده وصدره ، ويعتبر أحوال أهلها بمعيار فضله ، ويلزم الداخل فيها ببلوغ الحد الذي لا بد منه بين أرباب هذا الشأن وأهله ، ويعرف لأكابر هذا الفن قدر ما منحهم الله من علم وعمل ، ويبسط رجاء المبتدئ إذا كمل نفسه حتى لا يكون له فيها غير كمال الاستحقاق طمع ولا أمل .

ولما كان المجلس السامي ، القاضي ، الأجل ، الحكيم ، فلان الدين : هو الذي بلغ مع العلم غاية مراده ، واحتوى من هذا الشأن على ما جمع به رتب الفاضلين فيه على انفراد ، فلو عاصره « الرئيس »^(١٣٨) لاعتمد عليه في كليات قانونه ، أو « الرازي »^(١٣٩) لعلم أن « حاويه » من بعض فنونه ، قد حلب هذا العلم أشطره ، وأكمل قراءة هذا الفن رموزه وأسطره ، وحل أسرار الغامضة ، وارتوى من سحب رموزه بأنواء لم يشم غير فكره بروقها الوامضة ، وأسلف من خدمة أبوابنا العالية سفراً وحضراً ما اقتضى له مزية شكره ، وتقاضى له مزيد التنبيه على قدره والتنويه بذكره ، وحمد فيه الفريدان : صحة نقله وإصابة فكره ، وعلم أنه جامع علوم هذه الصناعة فلا يشذ منها شيء عن خاطره ولا يغيب منها نقل عن ذكره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال شهاب فضله لامعاً ، وسحاب بره هامعاً -
أن يكون فلان متولي رئاسة الأطباء بالديار المصرية على عادة من تقدمه .

فليأشر هذه الرئاسة ناظراً في مصالحها ، مطلعاً من شهاب فضله ما يزين أفقها
زينة السماء بمصابيحها ، ومتفقداً أحوال مباشرها ، متلمحاً أحوال المستقل بأعبائها
والداخل فيها ، سالكاً في ذلك سبيل من تقدمه من رؤسائها ، حاكماً في أمورها بما
جرت به العادة المستقرة بين أكابرها وعلمائها ، مطارحاً من قدمت هجرته فيها بما
يقتضي له مراجعة أصوله ، ملزماً من ظهر قصوره فيها بالتدرب إلى حد لا يقنع منه
بدون حصوله ، مجيئاً في الإذن لمن أظهر الاستحقاق صدق ما ادعاه ، قابلاً في الثبوت
من مشايخ هذه الصناعة من لا يشهد إلا بما علمه ولا يخبر من التدرب إلا بما رآه
ووعاه ، متحريراً في الثبوت لدينه ، آذناً بعد ذلك في التصرف إن ترقى علمه
باستحقاقه إلى رتبة تعيينه ، وليعط هذه الوظيفة حقها من تقديم المبرزين في علمها ،
وتكريم من منحه الله درجتي نقلها وفهمها ، وتعليم من ليس عليه من أدائها المعتبرة
غير وسمها واسمها ، ومنع من يتطرق من الطرقية إلى معالجة وهو عار من رذائلها ،
وكف يد من يتهجم على النفوس فيما غمض من أدائها قبل تحقق دوائها ، واعتبار
التقوى فيمن يتصدى لهذه الوظيفة فإنها أحد أركانها ، واختيار الأمانة فيمن يصلح
للاطلاع على الأعضاء التي لولا الضرورة المبيحة حرم الوقوف على مكانها ، وليكن في
ذلك جميعه مجانباً للهوى ، ناوياً نفع الناس فإنها لا مریء ما نوى ، والله تعالى يحقق
له الأمل ، ويسدده في القول والعمل ، بمنه وكرمه .

(٢) نسخة توقيع برياسة الطب ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود
الحلبي ، كتب بها لـ « شهاب الدين الحكيم » في المحرم سنة تسع وسبع مائة
للهجرة^(١٤٠)

أما بعد حمد الله حاسم أدواء القلوب بلطائف حكمته ، وقاسم أنواع العلوم بين
من كمل استعدادهم لقبول ما اقتضته حكمة قسمته ، وجاعل لباس العافية من نعمه
التي هي بعد الإيمان أفضل ما أفاض على العبد من بره وأسبغ عليه من نعمته ،

والمنزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته ، ومقرب ما نأى من الفضائل على من أسرى إليها مطايا عزمه وسرى لتحصيلها على جياذ همته ، وملهم آرائنا بتفويض أمانة الأرواح إلى من أنفق في خدمة الطبيعة أيام عمره فكان بلوغ الغاية في عملها نتيجة خدمته ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي شرح الله بالهدى صدور أمته ، وخصه منهم بأعلام كل علم وأئتمته ، وجلا بيقين ملته عن كل قلب ما ران عليه من الشك وغمته ، وعلى آله وصحبه الذي حماهم من الزيف والزلل ما فجر الهدى لهم من جوامع الكلم وأفاض التقى عليهم من أنوار عصمته - فإن أولى الأمور أن يعتمد فيها على طبيعتها الخبير ، ويصان جوهرها عن عرض العرض على غير ناقدتها البصير ، وتحمى مواردها عمن لم يعرف كيف يجتنب مواقع التكدير ، وترفع كواكبها عمن لم تدرك أفكاره دقائق الحوادث وحقائق التأثير - أمر صناعة الطب التي موضعها الأبدان القائمة بالعبادة ، والأجسام القائمة بما يتعاقب عليها من الحوادث والزيادة ، والنفوس التي ما عنها إن حصل فيها التفریط بدل ولا عوض ، والأرواح التي إن عرض الفناء لجوهرها فلا بقاء بعده للعرض ، والطبيعة التي إن خدمت على ما يجب نهضت على ما يجب بالصحة حق النهوض ، والأمزجة التي إن نفرت لعدم التأتي في سياستها أعجزت من يروض .

ولذلك تفتقر على كثرة أربابها ، وتحتاج مع غزارة المتمسكين بأسبابها ، وتضطر وإن اندفعت الضروات بكثرة متقنيها ، وتشوف وإن وجد الجم الغفير من المتلبسين بأدواتها والمتبحرين فيها - إلى رئيس ينعم في اعتبار أكفائها النظر ، ويدفع عن رتبتهما بتطرق غير أهلها الغير ، ويعرف من أحوال مباشرها ما لا يكفي في خبرها الخبر ، فلا يقبل إلا من علم مقدار علمه ، ووثق مع الحفظ بصحة فهمه ، ورضي عن خبره في الطب واجتهاده ، واعتبر منه كل نوع تحت أجناسه المتعددة على حدته وانفراده ، وجاراه في كليات الفن فرآه في كل حلبة راكضاً ، وطارحه في فصول العلم فوجده يحمل أعباء ما تفرع منها ناهضاً ، واختبر دربته فوجدها موافقة لتحصيله ، مطابقة لما

حواه من إجمال كل فن وتفصيله ، وتتبع مواقع دينه فوجدها متينة ، ومواضع أمانته فألفها مكيئة ، وأسباب شفقتة ونصحه فعرف أنها على ما جمع من الأدوات الكاملة معينة ، ويتعين أن يكون هذا « الرئيس » في أوانه ، و « الرازي » في زمانه ، و « الفارابي » في كونه أصلاً تتفرع فنون الحكم من أفنائه ، علاجه شفاء حاضر ، وكلاءته نجاة من كل خطر مخامر ، وتديبره للصحة تقويم ، وتصفحه تثقيف لعلماء الصناعة وتسليم ، ودروسه ذخائر ينفق من جواهر حكمها كل حكيم .

ولما كان المجلس العالي الصدري ، الشهابي ، وهو المراد بالتعين لهذه الوظيفة ، والمقصود بما أشير إليه في استحقاق هذه الرتبة من عبارة صريحة أو كناية لطيفة ، وأنه جمع من أدوات هذا الفن ما افترق ، واحتوى على أصوله وفروعه فاجتمعت على أولويته الطوائف واتفقت على تفضيله الفرق ، فلو عاصره « أبقرط » لقضى له في شرح فصوله بالتقدمة ، ولو أدرك « جالينوس » لاقتدى في العلاج بما عمله ، مع مباشرة ألفت بين الصحة والنفوس ، وملاطفة أشرقت مواقع البرء بها في الأجساد إشراق الشموس ، وإطلاع يعرف به مبلغ ما عند كل متصد لهذه الصناعة من العلم ، وتبحر في الفنون لا يُسَلَّم به لأحد دعوى الأهلية إلا بعد حرب جدال هو في الحقيقة عين السلم - فرسم بالأمر العالي أن يستقر فلان في رئاسة الأطباء الطبائية بالديار المصرية والشام المحروس ، على عادته وعادة من تقدمه في ذلك ، ويكون مستقلاً فيها بمفرده .

فلينظر في أمر هذه الطائفة نظراً تبرأ به الذمة ، ويحصل به على رضا الله تعالى ورضاء رسوله صلى الله عليه وسلم في الشفقة على الأمة ، ويعطي به الصناعة حقها ، ويطلق من يد من تطاول إليها بغير أهلية رقها ، ويصون النفوس من إقدام من تقدم بغير خبرة كاملة عليها ، ويذب عن الأرواح تطرق من يتطرق بغير معرفة وافرة إليها ، فإن فارط التفريط في النفوس قل أن يستدرك ، ومن لم تجتمع فيه أدوات المعرفة التامة والدين فما ينبغي له أن يدخل في المعالجة قبل الكمال وإن دخل فلا يترك ، فإن من

لازم صلاح الأرواح صلاح الأجساد ، وإن الداء الذي لا دواء له أن تكون العلة في واد والمعالجة في واد ، فلا يقبل في التزكية إلا من يثق بدينه كوثوقه بعلمه ، ولا يصرف أحداً في الصناعة إلا الذين زكت أعمالهم قبل التزكية ، وليشفعها بالامتحانات التي تسفر عن وجوه الوثوق بالأهلية لثام دقائقها المنكية ، فإن العيان شاهد لنفسه ، ومن لم تنفعه شهادة فعله في يومه لم ينفعه غيره في أمسه ، ولا يمض فيها حكماً قبل استكمال نصاب الشهادة ، وقبل التثبت بعد كلها : فإن المعالجة محاربة للدعاء ، والموت بجهالة المحارب له شهادة ، وليأمر من ألجىء إلى معالجة مرض لا يعرفه بمتابعة من هو أوفق منه بالتقديم ، ومراجعة من هو أعلم منه به : فإن الحوادث قد تختلف ﴿وَقَوْكَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(١٤٢) وملاك الأمور تقوى الله فليجعلها حجتة فيما بين الله وبينه ، والافتقار إلى توفيقه فليصرف إلى ذلك قلبه وعينه ، والخير يكون إن شاء الله تعالى .

(٣) وصية متطبب طبائعي^(١٤٢)

... وليتعرف أولاً حقيقة المرض بأسبابه وعلاماته ، ويستقص أعراض المريض قبل مداواته ، ثم ينظر إلى السن والفصل والبلد ، ثم إذا عرف حقيقة المرض ، وقدر ما يحتمله المزاج من الدواء لما عرض ، يشرع في تخفيف الحاصل ، وقطع الواصل ، مع حفظ القوى ، ولا يهاجم الداء ولا يستغرب الدواء ، ولا يقدم على الأبدان إلا بما يلائمها ، ولا يبعد الشبه ، ولا يخرج عن جادة الأطباء ولو ظن الإصابة حتى يقوى لديه الظن ويتبصر فيه برأي أمثاله ، وليتجنب الدواء ، ما أمكنه المعالجة بالغذاء ، والمركب ما أمكنه المعالجة بالمفرد ، وإياه والقياس إلا ما صح بتجريب غيره من مثل مزاج من أخذ في علاجه ، وما عرض له ، وسنه ، وفصله ، وبلده ، ودرجة الدواء ، وليحذر من التجربة ، فقد قال أبوقراط وهو رأس القوم : إنها خطر . ثم إذا اضطر إلى وصف دواء صالح للعلة نظر إلى ما فيه من المنافاة وإن قلت ، وتحيل لإصلاحه بوصف يصلح معه ، مع الاحتراز في وصف المقادير والكميات والكيفيات ، في الاستعمال والأوقات ، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر عنه ، ولا يأمر باستعمال دواء ،

ولا ما يستغرب من غذاء ، حتى يحقق حقيقته ، ويعرف جديده من عتيقه : ليعرف مقدار قوته في الفعل وليعلم أن الإنسان هو بنية الله وملعون من هدمها ، وأن الطبيعة مكافية ويؤسى لمن ظلمها ، وقد سلم الأرواح وهي وديعة الله في هذه الأجسام ، فليحفظها وليتق الله ففي ذلك جميع الأقسام ، وإياه ثم إياه أن يصف دواء هو الذي يأتي به ، أو يكون هو الذي يدل عليه ، أو المتولي لمناولته للمريض ليستعمله بين يديه ، وفي هذا كله لله المنة .

(٤) نسخة توقيع بتدريس الطب بالبيمارستان المنصوري ، كتب بها للطبيب مهذب الدين بن الموفق بن النجم^(١٤٣)

الحمد لله الذي دبّر بحكمته الوجود ، وعمّ برحمته كل موجود ، وحال بنفع الدواء بين ضر الداء كما حالت عطاياه دون الوعود ، نحمده ونشكره وهو المشكور المحمود ، ونثني عليه خير الثناء قياماً وقعوداً وعلى الجنوب وفي السجود ، ونستزيده من فضله فإنه أهل الفضل والجود .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة الله بها والملائكة وأولو العلم شهود ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المبشر لأمته بالجنات والخلود ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة إلى يوم الوعود .

وبعد ، فإننا لما أقام الله بنا شعائر الإيمان ، وأصبح دينه بحمد الله منصوراً بنا على سائر الأديان ، وجاهدنا في الله حق الجهاد باليد والقلب واللسان ، وشيدنا لعلومه وشرائعه كل بديع الإتقان ، وربنا فيه من العلماء الأعيان كل رفيع الشأن ، واخترنا له الأخيار من أهل العلم بالطب والفقه والحديث والقرآن ، ورأينا كل من تقدمنا من الملوك ، وإن سلك في سياسة الرعية أحسن سلوك ، قد اهتم بعلم الأديان وأهل علم الأبدان ، وأنشأ كل منهم مدرسة ولم يحفل ببيمارستان ، وغفل عن قوله صلى الله عليه وسلم : « العلم علمان » ، ولم يأخذ أحداً من رعيته بالاشتغال بعلم الطب المضطر إليه ، ولا وقف وقفاً على طلبه هذا العلم المنصوص عليه ، ولا أعد له مكاناً يحضر من يشتغل بهذا الفن فيه ، ولا نصب له شخصاً يتمثل هذا المشتغل لديه .

علمنا نحن بحمد الله تعالى من ذلك ما جهلوه ، وذكرنا من هذه القرية ما أهملوه ، ووصلنا من هذه الأسباب الدينية والدنيوية ما فصلوه ، وأنشأنا ببيمارستاناً يبهـر العيون بهجة ، ويفوق الأبنية بالدليل والحجة ، ويحفظ الصحة والعافية على كل مهجة ، لو حله من أشفى لعوجل بالشفاء ، أو جاءه أكمده السقم لاشتفى ، أو أشرف عليه العمر بلا شفاء لعاد عنه بشفاء ، ووقفنا عليه من الأوقاف المبرورة ما يملأ العينين ، ويطرق سماع جملته الأذنين ، ويعيد عنه من أمه مملوء اليدين ، وأبحنا التداوي فيه لكل شريف ومشروف مأمور وأمير ، وساوينا في الانتفاع به بين كل صغير وكبير ، وعلمنا أن لا نظير لنا في ملكنا ولا نظير له في إبقائه فلم نجعل لوقفه وشرطه من نظير ، وجعلنا فيه مكاناً للاشتغال بعلم الطب الذي كاد أن يجهل ، وشرعنا للناس إلى ورد بحره أعذب منهل ، وسهلنا عليهم من أمره ما كان الحلم به من اليقظة أسهل ، وارتدنا له من علماء الطب من يصلح لإلقاء الدروس ، ويتنفع به الرئيس من أهل الصناعة والمروءة ، ويؤتمن على صحة الأبدان وحفظ النفوس ، فلم نجد غير رئيس هذه الطائفة أهلاً لهذه المرتبة ، ولم نرض لها من لم تكن له هذه المنقبة ، وعلمنا أنه متى وليها أمسى بها معجباً وأضحت به معجبة .

ولما كان المجلس السامي « مهذب الدين » هو الرئيس المشار إليه ، والوحيد الذي تعقد الخناصر عليه ، وكان هو الحكيم « بقراط » بل الجليل « سقراط » ، بل الفاضل « جالينوس » ، بل الأفضل « ديسقوريدوس » - اقتضت الآراء الشريفة أن تزداد جلالة بتولية هذا المنصب الجليل جلالة ، وأن تُرف إليه تجر أذيالها ، ويزف إليها يجبر أذياله ، وأن يقال : « لم يك يصلح إلا لها ولم تك تصلح إلا له » .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال للدين ناصراً ، ولأعلام العلوم ناشراً - أن يفوض إليه تدريس الطب بالبيمارستان المبارك المنصوري ، المستجد الإنشاء بالقاهرة المحروسة ، علماً بأنه المتمهر في هذا الفن ، وأنه عند الفراسة فيه والظن ، وأنه سقراط الإقليم إذا كان غيره سقراط الدن ، وثقة بأنا للجوهر قد التقطنا ، وبالخير قد اغتبطنا ، وعلى الخير قد سقطنا .

فليتلق هذه النعمة بالشكر الجليل ، والحمد الجزيل ، والثناء الذي هو بالنماء

والزيادة كفيل ، وليتصب لهذا العلم المبارك انتصاب من يقوم بالفرض منه والسنة ، ويعرف له فيه الفضل ويتقلد له فيه المنة ، ويثنى على آثاره الجميلة. فيه وتثنى إليه الأعنة ، وليبطل بتقويمه الصحة ما ألفه ابن « بطلان »^(١٤٤) ، وليرنا بتدبيره جبلة البر فإنه « ابن سينا » الأوان ، وليجمع عنده شمل الطلبة ، وليعط كل طالب منهم ما طلبه ، وليبلغ كل متمن من الاشغال أربه ، وليشرح لهم صدره ، وليبذل لهم من عمره شطره ، وليكشف لهم من هذا العلم المكنون سره ، وليرهم ما خفي عنهم منه جهره ، وليجعل منهم جماعة طبائعية^(١٤٥) ، وطائفة كحالين وجراحية ، وقوماً مجبرين ، وبالحديد عاملين ، وأخرى بأسماء الحشائش وقوى الأدوية وأوصافها عالمين ، وليأمر كلا منهم بحفظ ما يجب حفظه ، ومعرفة ما يزيد به حظه ، وليأخذه بما يصلح به لسانه ولفظه ، ولا يفتر عنهم في الاشتغال لحظة ، وليفرد لكل علم من العلوم طائفة ، ولكل فن من فنونه جماعة بمحاسنه عارفة ، وليصرف إليهم من وجوه فضائله كل عارفة ، وليكشف لهم ما أشكل عليهم من غوامضه فليس لها من دون إيضاحه كاشفة ، لينشر في هذا المكان المبارك من أبواب هذه العلوم قوم بعد قوم ، ويظهر منهم في الغد - إن شاء الله - أضعاف ما هو ظاهر منهم اليوم ، وليقال لكل من طلبته إذا شرع في إجازته وتزكيتة : لقد أحسن شيخه الذي عليه تأدب ، وإن من خرج هذا « المذهب » عاملاً في ذلك بشروط الواقف أعز الله نصره ، واقفاً عند أمره أمضى الله أمره ، والخير يكون ، إن شاء الله تعالى^(١٤٦) .

(٥) نسخة من إجازة في الطب من القرن الحادي عشر الهجري^(١٤٧)

وهذه صورة ما كتبه الشيخ الأجل عمدة الأطباء ومنهاج الألباء الشيخ شهاب الدين بن الصائغ^(١٤٨) الحنفي رئيس الأطباء بالديار المصرية إجازة للشاب المحصل محمد عزام ، أحد تلامذة الشيخ الأجل والكهف الأحول الشيخ زين الدين عبدالمعطي رئيس الجراحين على حفظه لرسالة القصد كما سنبيته :

الحمد لله ومنه نستمد العناية .

الحمد لله الذي وفق من عباده من اختاره لخدمة الفقراء والصالحين وهدى من شاء

للطريق القويم والنهج المستقيم على ممر الأوقات والأزمان إلى يوم الدين .

وبعد فقد حضر الشاب المحصل شمس الدين محمد بن عزام على المؤذن الجرواني^(١٤٩) المتشرف بخدمة الجراح والمتقيد بخدمة الشيخ الصالح بقية السلف الصالحين العارفين وشيخ طائفة الجراحين بالبيمارستان المنصوري هو الشيخ عبدالمعطي المشهور بابن رسلان نفعا الله ببركاته ورحم أسلافه العارفين الصالحين وعرض علي جميع الرسالة اللطيفة المشتملة على معرفة الفصد وأوقاته وكيفيته وشروطه وما يترتب عليه من المنافع المنسوبة والرسالة المذكورة للشيخ الإمام العلامة التمام شمس الدين محمد بن محمد بن ساعد الأنصاري^(١٥٠) شكر الله سعيه ورحمه وأسكنه بحابيح جناته يمنه وكرمه ، عرضاً جيداً دلّ على حسن حفظه للرسالة المذكورة وقد أجزته أن يروها عني بحق روايتها وغيرها من الكتب الطبية .

(٦) نسخة أخرى من إجازة في الطب :

صادرة من رئيس الجراحين بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة^(١٥١) :

«صورة ما كتبه الفقير على ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

من ممد الكون أستمده العون . الحمد لله الذي جعل لهذه الأمة بالطب المحمدي شفاء ، ودأوى علل أفهامهم بصحيح حديثه بعد ما كانوا في سقم الباطل على شفا . أحمدته حمداً يتقوى به الضعيف ، وأشكره شكراً وافياً يكون لنا نعم العلاج عند الحكيم اللطيف . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي جعل الفصد والحجامة للأبدان من أنفع العلاج ، إذ بهما . . (كلمة مفقودة) قف الحرارة الردية والمزاج . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي قطع عرق الاشتراك ، وعلى آله وأصحابه السادة النساك ، الذين جمعوا بالعلم والفصاحة بين الحكمة وفصل الخطاب ، وعالجوا زمان الجهل بحسن تدبيرهم فعوفي وحفظ لهم الصحة وطاب .

وبعد فقد وقفت على هذه الرسالة العظيمة ، والمقالة الكريمة ، الموسومة « براء الآلام في صناعة الفصد والحجام » نظم لودعي زمانه ، وألعي عصره وأوانه :

الشمس شمس الدين محمد القيم شهرة ، الجراح صنعة ومهرة ، التي أصلها للشيخ
الفاضل حاوي الفضائل الشيخ شمس الدين محمد الشربيني الجراح . لا زالت
شآبيب الرحمة والرضوان على قبره غادية رائحة ، وشذا العبهري الريحان من مرقد
فاتحة ، الموسومة « بغاية المقاصد فيما يجب على المقصود والفاصد » ، إذ هي في هذا
الفن أسمى المقاصد . وقد قرأها عليه قراءة إتقان وإمعان ، وحل لمشكلات الألفاظ
والمعان ، فلم ير بداً من أن يبسطها ليتيسر حفظ تلك الفوائد ، ولتسهل ضبط تلك
القواعد فجاءت بجملة أبهى من نور الأنحار ، وأضوأ من نور الأسمار ، كالنبر
المنسبك أو القطر المنسكب . قد أجاد ناظمها في تحقيقها ، وبذل الجهد في تحريرها
وتدقيقها . وأتقن ألفاظ مبانيها . وغاص بحار معانيها ، واستخرج الدر الثمين من
أصلها ، وجمع بين فصلها ووصلها ، وصارت تجلى كالعروس لمعانيها . ولقد صارت
في هذه الصناعة العمدة والكفاية واعترفت لها الكامل أنها المنهاج والهداية . ونسيت بها
التذكرة ، ولم يبق لهذا العلم تذكرة حميدة . وأحجم عندها كل مهذب بالمكنون ،
وصرح تاريخ الأطباء لأنها نص ما في القانون . فلما ظهرت نتيجة الانتخاب في المسألة
والجواب وتغذى ناظم سلوكها بالخاص من اللباب ، وصارت الخناصر عليها تعقد ،
وإن كان لساعد الأنصاري^(١٠) رسالة ، فشتان رسالته ورسالة محمد . وكانت عين
المقصود ، ورقمت فيما يجب على الفاصد والمقصود ، استحق راقم وشيها وناسج بردها
أن يتوج بتاج الإجازة فاستخرت الله تعالى وأجزت له أن يتعاطى من صناعة الجراح ،
ما أتقن معرفته ليحصل له النجاح والفلاح . وهو أن يعالج الجراحات التي تبرأ بالبط ،
ويقلع من السنان ما ظهر له من غير شرط ، وأن يفصد من الأوردة ويبتتر الشرايين
وأن يقلع مع الأسنان الفاسدة الموسوسين (كذا) وأن يلم ما بعد من تفرق الأنصال ،
بقطان وغير ذلك وطهارة الأطفل .

هذا مع مراجعته وخدمته لرؤساء هذا الفن المتبحرين ، والمهرة الأساتذة العارفين
مع تقوى الله والنصح في الصناعة ، ولا يخشى مع ذلك من كساد البضاعة . ونسأل
الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياه لصالح الأعمال ، في كل حال ومآل . اللهم إني
أسألك من فضلك العظيم مغفرة لذنوبنا وعافية لأبداننا ، لا إله غيرك ، ولا مرجو
إلا خيرك رب العالمين » .

رقمه بقلمه أحقر عباد الفتاح الفقير للحق علي بن محمد بن محمد بن علي الجراح
خادم الفقراء الضعفاء بدار الشفا بمصر المحروسة ومصلية ومسلما ومحمداً ومحوقلاً
ومستغفراً بتاريخ صفر الخير من شهور سنة إحدى عشرة وألف من الهجرة النبوية على
صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله وحده .

الهوامش

- (١) حسين أمين . «المسجد وأثره في تطوير التعليم» - مجلة دراسات تاريخية (جامعة دمشق) ع ٥ (رمضان ١٤٠١هـ) - ص ٧ .
- (٢) المرجع السابق - ص ١٠ .
- (٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٦٨٨ .
- (٤) نسبة إلى أبي العباس أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام وكان بناء هذا الجامع سنة ٢٦٣هـ (٨٧٦م) (المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، ت سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م . المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية ، بيروت : دار صادر ، د - ت ج ٢ - ص ٢٦٥) .
- (٥) محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن المصري الحنفي شمس الدين بن تاج الدين الطيب ، كان فاضلاً له نظم جيد ، ولي تدريس الأطباء بالجامع الطولوني ، وكانت وفاته في شوال سنة ٧٧٢هـ (١٣٧١م) (ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد ، ت سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، بيروت : دار الجيل ، د - ت ج ٣ - ص ٤٧٥) .
- (٦) عمرو بن منصور بن عبدالله سراج الدين البهاري القاهري الحنفي ولد سنة ٧٦٢هـ (١٣٦٠م) ، واشتغل بالفقه والعربية والطب واستقر في تدريس الطب في البيمارستان والجامع الطولوني ، وانتهت إليه رئاسة الطب في الأيام المؤبدية وتوفي في شوال سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م) (السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ، ت سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، د - ت ج ٦ ص ١٣٩) .
- (٧) هو الإمام الفاضل موفق الدين عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد المعروف بابن اللباد ، موصل الأصل بغدادي المولد والوفاة ، كان مشهوراً بالعلم والفضل ، ولد ببغداد سنة ٥٥٧هـ (١١٦١م) ونشأ في أسرة علم وصلاح ، ثم ارتحل إلى أقطار كثيرة ، وحصل على عدد من الإجازات فيها ، ودرّس في كل من الموصل ، وبيت المقدس ، ومصر ، وحلب ، وكثرت تصانيفه في فروع العلم المختلفة . توفي في بغداد في المحرم من سنة ٦٢٩هـ (١٢٣١م) إثر مرض ألمّ به (ابن أبي أصيبعة ، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم - ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م . عيون الأنباء في طبقات الأطباء - شرح وتحقيق د . نزار رضا - بيروت :

دار مكتبة الحياة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ص ٦٨٣ - ٦٩١ ، الكتبي ، محمد بن شاکر ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م . فوات الوفيات والذيل عليها - تحقيق : إحسان عباس - بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٣م ، ج ٢ ص ٣٨٥ - ٣٨٨ .

(٨) ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق - ص ٦٨٩ .

(٩) هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا صاحب التصانيف المشهورة في الطب والمنطق والطبيعات والإلهيات ، أصله من بلخ ، ومولده في إحدى قرى بخارى ، نشأ وتعلم في بخارى ، وطاف البلاد وناظر العلماء ، واتسعت شهرته وكثرت مؤلفاته كانت وفاته في همدان سنة ٤٢٨هـ (١٠٣٧م) (ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت : سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق إحسان عباس بيروت : دار صادر، ١٩٧٢م ، ج ٢ ص ١٥٧ - ١٦٢ ، ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق، ص ٤٣٧ - ٤٥٩) .

(١٠) البيهقي : ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد (ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م) تاريخ حكماء الإسلام . تحقيق محمد كرد علي . دمشق : المجمع العلمي العربي ، (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) ص ٦٢ . ابن أبي أصيبعة مصدر سابق ٤٤١ .

(١١) كان يهودياً عالماً بصناعة الطب خدم حكام الدولة العبيدية بمصر ، ثم خدم الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وعاش ثلاثاً وثمانين سنة وتوفي في سنة ٥٨٠هـ (١١٨٤م) بالقاهرة (ابن أبي أصيبعة ، المصدر نفسه ص ٥٧٩ - ٥٨٠) .

(١٢) المصدر نفسه ص ٥٨٠ .

(١٣) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن هُبل البغدادي ، ويعرف بالخِلاطي ، كان علامة زمانه في صناعة الطب متقناً للقرآن الكريم ، ومتميزاً في صناعة الأدب كانت ولادته في بغداد سنة ٥١٥هـ (١١٢١م) ونشأ بها وقرأ الأدب والطب ثم سار إلى الموصل واستوطنها إلى أن توفي فيها سنة ٦١٠هـ (١٢١٣م) وكانت له كتب مشهورة منها «المختارات في الطب» يقع في أربع مجلدات وكتاب «الطب الجمالي» الذي ألفه للوزير الموصلجي جمال الدين الأصفهاني . (القفطي ، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاسمي الأشرف يوسف ، ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م . أخبار العلماء بأخبار الحكماء القاهرة مكتبة المثنى ، د . ت ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ، ابن أبي أصيبعة ، مصدر سابق، ص ٤٠٧ - ٤٠٨) .

(١٤) القفطي : مصدر سابق ص ١٦٠ ، ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ، ص ٤٠٨ .

(١٥) هو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه كان طبيباً ماهراً خبيراً بصناعة الطب مقدماً عند الخلفاء العباسيين، خدم هارون الرشيد، والمأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل، وقد قلده

الرشيذ ترجمة الكتب الطبية القديمة ووضعه أميناً على الترجمة، له مصنفات طبية مشهورة منها كتابه الذي سماه «البرهان» في ثلاثين كتاباً، وكتابه المعروف «بالبصيرة»، وكتاب «الكامل والتمام في الحميات»، وكتاب في الفصد والحجامة وكتاب في الأدوية، وكتاب المشجر وكتاب في القولونج، وكتاب في الأغذية (ابن النديم، محمد بن إسحاق ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م الفهرست . تحقيق ناهد عباس عثمان، الدوحة : دار قطري بن الفجاءة ١٩٨٥م ، ص ٥٨٩ - ٥٩٠ ، ابن جُلجل : سليمان بن حسان الأندلسي : طبقات الأطباء والحكماء ط ٢ ، تحقيق : فؤاد السيد، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، القفطي : مصدر سابق ، ص ٢٤٨ ، ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ، ص ٢٤٦ - ٢٥٥ .

(١٦) القفطي : المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ .

(١٧) هو أبوبكر محمد بن زكريا فيلسوف من أئمة الطب من أهالي الري ، ولد وتعلم بها وتنقل بين البلاد وكثرت مصنفاته الطبية ، وولي رئاسة الطب في البيمارستان المقدري في بغداد ، وكفّ بصره في آخر عمره، وكانت وفاته في بغداد سنة ٣١٣هـ (٩٢٥م) (القفطي : مصدر سابق ، ص ١٧٩ ، ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ، ص ٤١٤ - ٤٢٧) .

(١٨) الرِّي : مدينة مشهورة ببلاد فارس من أمهات المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وظهر فيها عدد كبير من العلماء الأعلام (ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ت ٦٢٦/١٢٢٨م ، معجم البلدان ، ط ٢ . بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ج ٢ ص ١١٦ - ١٢٢) . وهي الآن مدينة مشهورة بإيران ضمن منطقة طهران .

(١٩) الفرست ، ص ٥٩٤ .

(٢٠) هو أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جُلجل طبيب ومؤرخ أندلسي ولد بقرطبة سنة ٣٣٢هـ (٩٤٣م) عني بطلب الطب فغلب عليه وعرف به وكان طبيباً فاضلاً خبيراً بالمعالجات جيد التصرف في صناعة الطب عاصر الخليفة الأندلسي هشام الثاني المؤيد بالله وخدمه بطبه ولم تعلم سنة وفاته إلا أنه ذكر أنه فرغ من تأليف كتابه طبقات الأطباء والحكماء سنة ٣٧٧هـ وله أيضاً كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس ، (القفطي : مصدر سابق ص ١٩٠ ، ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ص ٤٩٣ - ٤٩٥) .

(٢١) القفطي : مصدر سابق ص ١٩٠ .

(٢٢) هو أبو منصور الحسن بن نوح القُمري أحد شيوخ ابن سينا حيث لحق به وتلمذ على يديه ولكن لم تعلم سنة وفاته وله من الكتب : كتاب «غنى ومنى» وهو كتاب مهم ذكر فيه الأمراض ومداوماتها ولخص فيه جملاً من أقوال المتعمقين في صناعة الطب وخصوصاً ما ذكره

- الرازي متفرقاً في كتبه وله أيضاً «كتاب علل العلل» و«الشمسية المنصورية في الطب» (ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ، ص ٤٣٥ - ٤٣٦) .
- (٢٣) أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن التلميذ اشتهر بصناعة الطب وانتهت إليه رياسته في بغداد . وله مصنفات طبية مشهورة تداولها طلبة الطب زمناً طويلاً (القفطي : المصدر نفسه ص ٢٢٢ ، ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ص ٣٤٩ - ٣٧١) .
- (٢٤) ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ص ٣٥٠ .
- (٢٥) هو الشيخ الإمام العالم أبو الحسن علي بن أبي عبدالله عيسى بن هبة الله النقاش ولد ببغداد ، ونشأ وتعلم بها ، كان عالماً باللغة والأدب متكلماً بالفارسية ، تتلمذ بالطب على الطبيب ابن التلميذ ولازمه مدة ، ثم انتقل إلى دمشق ومارس الطب فيها في بيهارستان نورالدين محمود ثم توجه إلى القاهرة وأقام بها مدة ، ثم رجع إلى دمشق ولم يزل مقيماً بها إلى حين وفاته سنة ٥٧٤هـ (١١٧٨م) (ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ص ٦٣٥ - ٦٣٧) .
- (٢٦) المصدر نفسه ص ٦٣٦ .
- (٢٧) البيهارستانات : جمع بيهارستان . وهي كلمة فارسية معربة مركبة من كلمتين (بيار) بمعنى مريض أو ضعيف ، و (ستان) بمعنى مكان فهي تعني : مكان المرضى ، أو دار المرضى وهو ما يطابق المستشفيات في يومنا هذا . (محمد التونجي : المعجم الذهبي - فارسي ، عربي ط ١ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٩م ، ص ١٣٠ ، ٣٢٣) .
- (٢٨) محمد عبدالرحيم غنيمه : تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، تطوان : دار الطباعة المغربية ، (١٩٥٣م) ص ١١٨ .
- (٢٩) أحمد عيسى : تاريخ البيهارستانات في الإسلام . ط ٢ ، بيروت : دار الرائد العربي ، ١٤٠١هـ (١٩٨١م) ص ١٩ - ٢٠ .
- (٣٠) محمد غنيمه : مرجع سابق ، ص ١١٩ .
- (٣١) هو عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن الحسن بن بويه الديلمي أحد ملوك بني بويه ، وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام وأول من خُطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ، وكان له مجلس علمي شهير ، وكان له إصلاحات كثيرة ببغداد منها هذا البيهارستان ، توفي ببغداد سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م (ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي البغدادي ، ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الأجزاء من السادس إلى العاشر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الدكن بالهند ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م ، ج ٧ ، ص ١١٢ - ١١٣ ؛ ابن خلكان : مصدر سابق ج ٤ ص ٥٠ - ٥٥) .
- (٣٢) ابن خلكان : المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٥٤ - ٥٥ .

- (٣٣) القفطي : مصدر سابق ص ١٥٨ .
- (٣٤) كان ماهراً في صناعة الطب ونقل كتباً كثيرة فيه إلى اللغة العربية ، ثم كفّ بصره ، ومع ذلك استمر في صناعة الطب ومزاولتها في بيارستان عضد الدولة ببغداد ، وكان يصرف عليه من أوقاف البيارستان ما يقوم بكفائته ، وقد ألّف كتاباً في الطب مشهورة (ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ، ص ٣٢٩) . ولم تعلم سنة وفاته على وجه التحديد .
- (٣٥) ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه . ص ٣٢٩ .
- (٣٦) هو الفيلسوف الإمام العالم أبو الفرج عبدالله بن الطيب من الأطباء المشهورين بصناعة الطب في بغداد ، وكان واسع العلم ، كثير التصنيف شرح كتباً كثيرة من كتب أرسطو في المنطق وكتب جالينوس في الطب وهو معاصر لابن سينا . وكانت وفاته سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) على الأرجح (القفطي : مصدر سابق ص ١٥٠ - ١٥١ ، ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ص ٣٢٣ - ٣٢٥) .
- (٣٧) محمد عبدالرحيم غنيمه : مرجع سابق ، ص ١٢٢ .
- (٣٨) كتب عن ذلك بتوسع ضمن رسالة الدكتوراه المقدمة من الباحث بعنوان : «الحياة العلمية في الدولة الزنكية» . إلى قسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤١٠هـ .
- (٣٩) هو أفضل الدولة أبو المجد محمد بن أبي الحكم ، عبيد الله بن المطهر بن عبدالله الباهلي ، من الحكماء المشهورين والعلماء المذكورين ، والأفاضل في صناعة الطب ، وله معرفة أيضاً بعلم الهندسة والنجوم ، اشتهر في دولة الملك العادل نورالدين محمود ، ونال عنده مكانة عالية ، وأوكل إليه مهمة الطب البيارستان النوري بدمشق ، وكانت وفاته سنة ٥٧٠هـ (١١٧٤م) (ابن أبي أصيبعة مصدر سابق : ص ٦٢٨) .
- (٤٠) ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه . ص ٦٢٨ .
- (٤١) الخرسّانين : كلمة فارسية مركبة من مقطعين هما : (خور) بمعنى المستحسن اللائق و (ستان) بمعنى مكان ، فهي تعني المكان اللائق ، وأطلق عليه فيما بعد المخزن أو الخزانة سواء للطعام أو السلاح أو غيره (محمد خير الدين الأسدي : موسوعة حلب المقارنة . حلب : مطبعة جامعة حلب ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ج ٣ ص ٣٢١) .
- (٤٢) ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ، ص ٦٢٨ .
- (٤٣) يقع هذا البيارستان بخط بين القصرين من القاهرة وكان قاعة لست الملك ابنة العزيز العبيدي ، ثم عرف بدار الأمير فخرالدين جهار كس من كبار أمراء الدولة الصلاحية ، ثم بدار موسك الصلاحى أمير الدولة الأيوبية ، ثم صارت للملك الفضل قطب الدين أحمد

بن الملك العادل أبي بكر الأيوبي فاستقر بها هو وذريته فصارت تسمى الدار القطبية. ولم تزل بيد ذريته إلى أن أخذها الملك المنصور سيف الدين قلاوون سنة ٦٨٢هـ (١٢٨٣م) وأمر ببناء ذلك البيمارستان وقبة ومدرسة باسمه. (المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار، مصدر سابق ج ٢ ص ٤٠٦ - ٤٠٨ ، وانظر أيضاً : أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام : ص ٨٣ - ٩٣).

(٤٤) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٠٦ .

(٤٥) هو ركن الدين أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن يوسف بن عبدالرحمن بن عبد الجليل الجعفري المالكي التونسي، ولد بتونس سنة ٦٦٤هـ (١٢٦٦م) ونشأ وتعلم بها، ثم قدم مصر في سنة ٦٩٠هـ (١٢٩١م) وتولى نيابة الحكم للقاضي المالكي بالقاهرة، وكان يدرس بالمدرسة المنكوتمرية بالقاهرة ويدرس الطب بالبيمارستان المنصوري ، وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٨م) عن أربع وسبعين سنة . (الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك المتوفى سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م الوافي بالوفيات ، ج ١ ص ٣٢٨ - ٣٣٨ ، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ، البداية والنهاية . ط ٢ . بيروت : مكتبة المعارف ١٩٧٧م ج ١٤ . ص ١٨٣ . وقد ذكره باسم محمد بن عبدالرحمن بن القويح (بالباء) .

(٤٦) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٢٤٠ .

(٤٧) السخاوي . الضوء اللامع . ج ٦ ص ١٣٩ ، وقد سبقت ترجمته ضمن مدرسي الطب في الجامع الطولوني .

(٤٨) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن عمر بن خالد بن عبدالمحسن بن نشوان الشرفي العالي بن الصدر أبي البركات بن قاضي طيبة البدر أبي إسحاق المخزومي ولد سنة ٧٩٣هـ بالقاهرة ونشأ بها، وتولى تدريس الطب بالبيمارستان المنصوري : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٨٤ - ٢٨٦ ، أحمد عيسى . معجم الأطباء - ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة . ط ٢ ، بيروت : دار الرائد العربي ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٣٦٨ .

(٤٩) الضوء اللامع ، ج ٦ ص ٢٨٥ .

(٥٠) هو الصدر العالم الفاضل أبو محمد عبدالرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار أوحده عصره وفريد دهره وعلامة زمانه انتهت إليه رئاسة الطب ومعرفتها وتحقيق كلياتها وجزئياتها، ولد ونشأ بدمشق كحالا مشهورا، وكتب في الطب، واشتغل بالعربية، وخدم الملك العادل الأيوبي بصناعة الطب، وخدم بالبيمارستان النوري الكبير بدمشق، واجتمع عليه خلق كثير لدراسة الطب منهم الطبيب ابن أبي أصيبعة صاحب المعجم المشهور، وصنف كتباً كثيرة

قيل إنها بلغت أكثر من مائة مجلدة، وكانت وفاته بدمشق في شهر صفر سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) (أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م. تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، نشر عزت العطار الحسيني . ط٢. بيروت : دار الجليل ١٩٧٤م. ص ١٥٩، ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ص ٧٢٨ - ٧٣٦، الذهبي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م. سير أعلام النبلاء، ط٢. بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج ٢٢ ص ٣١٦-٣١٧).

(٥١) ابن شداد : عزالدین محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م). الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. ج ٢. ق ١ (قسم دمشق). نشر وتحقيق سامي الدهان . دمشق : المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م). ص ٢٦٥. وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن إنشاءها كان سنة ٦٢٢هـ. (مصدر سابق ص ٧٣٣).

(٥٢) النعمي ، عبدالقادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م). الدارس في تاريخ المدارس، نشر وتحقيق . جعفر الحسيني. دمشق . مطبعة الترقى ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)، ج ٢ ص ١٢٧. العلموي : عبدالباسط بن موسى العلموي الدمشقي (ت ٩٨١هـ/١٥٧٣م) مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، تحقيق : صلاح الدين المنجد، نشر : مديرية الآثار القديمة العامة، دمشق، مطبعة الترقى، ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) ص ١٣٦.

(٥٣) ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ص ٧٣٣.

(٥٤) محمد كرد علي (ت ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م). خطط الشام. ط٣. بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). ج ٦ ص ١٠١.

(٥٥) المصدر نفسه ص ٧٣٣.

(٥٦) هو الحكيم أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن الرجي، كان مولده بدمشق في سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م). وله عناية كبيرة بصناعة الطب وتحقيق مباحثها الكلية والجزئية . وله فيها كتب عديدة، واشتغل على أبيه وقرأ على الطبيب عبداللطيف البغدادي، واشتغل بالأدب على الشيخ علم الدين السخاوي، وقال الشعر، وخدم بالبيارستان النوري بدمشق ، فدرس بها مدة وتوفي سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م). وله كتب في خلق الإنسان وهيئة أعضائه لم يسبق إلى مثله، (ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق : ص ٦٧٥ - ٦٨٢، وقال عنه ابن كثير أنه فاق أقرانه في صناعة الطب. البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٥٥).

(٥٧) ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ، ص ٦٧٦.

(٥٨) المصدر نفسه : ص ٦٨٢ والطبيب جمال الدين الرحبي هو الحكيم جمال الدين عثمان بن يوسف ابن حيدرة ولد بدمشق واشتغل بصناعة الطب على والده وغيره من علماء دمشق وأتقنها، واشتهر بحسن المعالجة وجودة المداواة بالبيمارستان النوري، كما اشتغل بالتجارة وهاجر إلى مصر بعد وصول المغول إلى الشام وأقام فيها، ثم مرض وتوفي بالقاهرة سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) (أبوشامة : تراجم رجال القرنين ص ٢٠٧، ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ص ٦٨٢).

(٥٩) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة (قسم دمشق) ص ٢٦٥ ، النعمي الدارس ، ج ٢ ص ١٢٧ ، وهو الحكيم بدر الدين المظفر ابن القاضي الإمام مجد الدين عبدالرحمن بن إبراهيم قاضي بعلبك، وقد نشأ بدرالدين بدمشق واشتغل بها في صناعة الطب، وقد جمع الله فيه من العلم الغزير الذكاء المفرط والمروءة الكثيرة ما تعجز الألسن عن وصفه، قرأ صناعة الطب على الحكيم مذهب الدين عبدالرحيم بن علي وبرع فيها ، وقد خدم في بيمارستان الرقة وأقام بها سنين ثم عاد إلى دمشق وخدم فيها صناعة الطب وولي الرئاسة فيها على جميع الأطباء والكحالين والجراحين سنة ٦٣٧هـ (١٢٣٩م) واستمر في ذلك إلى حين وفاته، وقد صنف بدرالدين عديداً من الكتب الطبية منها : مقالة في مزاج الرقة، كتاب مفرج النفس وكتاب الملح في الطب. (ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ص ٧٥١ - ٧٥٥) ولم تشر المصادر إلى سنة وفاته .

(٦٠) ابن شداد : مصدر سابق ص ٢٦٥ ، النعمي : مصدر سابق ج ٢ ص ١٢٧ ، وهو الحكيم العالم الأديب عماد الدين أبو عبدالله محمد بن القاضي الخطيب تقي الدين عباس بن أحمد بن عبيد الربيعي ، كان مولده بمدينة دنيسر ونشأ بها واشتغل بصناعة الطب وبرع فيها ، وقد سافر من دنيسر إلى الديار المصرية ثم رجع إلى الشام وأقام بدمشق وخدم في قلعة دمشق وفي البيمارستان النوري الكبير ودرس في الدخوارية واستمر فيها إلى حين وفاته سنة ٦٨٦هـ (١٢٨٧م) ، ولعماد الدين الدنيسري من الكتب : المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة، كتاب نظم الترياق الفاروق ، وكتاب في المثرود بطوس ، وكتاب في تقدمه المعرفة لابقراط وديوان شعر (ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ، ص ٧٦١ - ٦٦٧ الكتبي ، فوات الوفيات، ج ٣ ص ٣٩٢ ، ٢٩٣).

(٦١) الأعلاق الخطيرة (قسم دمشق) ص ٢٦٥ .

(٦٢) محمد بن عبدالرحيم بن مسلم كمال الدين الطبيب شيخ قديم عارف بالطب بصير بأصوله ومفرداته، درس بالدخوارية وطال عمره وتوفي سنة ٦٨٧هـ (١٢٨٨م) (الصفدي : الوافي بالسوفيات، ج ٣ ، ط ٣ ، نشر باعتناء س : ديد رينغ ، فيسبادن : فرانز شتاينر

١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، ج ٣ ص ٢٤٨).

(٦٣) هو إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري ، الدمشقي الشافعي ، المعروف بالسويدي حيث كان أبوه تاجراً من السويداء بحران ، ولد أبو إسحق بدمشق ونشأ بها واشتغل بصناعة الطب حتى أتقنها ولازم الشيخ مهذب الدين الدخوار وغيره من مشاهير الأطباء في دمشق ، اشتغل طبيباً بالبيمارستان النوري ، وبيمارستان باب البريد ، وتردد إلى قلعة دمشق ، وكان مشهوراً بخطه الحسن حيث كتب كتباً كثيرة في الطب وغيره توفي بدمشق سنة ٦٩٠هـ (١٢٩١م) (ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ، ص ٧٥٩ - ٧٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ص ٣٢٥).

(٦٤) أحمد بن عبدالله بن الحسين الدمشقي المعروف بالجمال المحقق اشتغل بالفقه على مذهب الإمام الشافعي وبرع فيه وأفتى ، وكان فاضلاً بالطب وقد ولي مشيخة الدخوارية وعاد المرضى بالبيمارستان النوري ، وكان مدرساً للشافعية بالمدرسة الفرخشانية بدمشق ومعيداً بعدة مدارس وكان جيد الذهن مشاركاً في فنون كثيرة ، توفي بدمشق في رمضان سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٥م) (ابن كثير : البداية والنهاية : ج ١٣ ص ٣٤٢ ، ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح : عبدالحلي الحنبلي ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت : دار الفكر ١٣٩٩هـ ، ج ٥ ص ٤٢٦).

(٦٥) المصدر السابق : ج ١٣ ص ٣٤٢ .

(٦٦) الذهبي : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) : العبر في خبر من غبر ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) ، ج ٤ ص ٩٤ ، ابن العماد : المصدر السابق ، ج ٦ ص ١١٠ .

(٦٧) ابن كثير : مصدر سابق ، ج ١٤ ص ٨٣ حيث ذكر في سنة سبع عشرة وسبعائة في شهر ذي القعدة : وفيه درس بالدخوارية الشيخ جمال الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد الكحل ، ورتب في رئاسة الطب عوضاً عن أمين الدين سليمان الطبيب . ولم تعلم سنة وفاته .

(٦٨) الدارس ، ج ٢ ص ١٣٤ ؛ العلموي : مختصر تنبيه الطالب ، ص ١٣٧ .

(٦٩) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ١٣٣ وقد سبقت ترجمته ضمن مدرسي المدرسة الدخوارية .

(٧٠) محمد كرد علي : خطط الشام . ج ٦ ص ١٠٣ .

(٧١) النعمي : المصدر نفسه ج ٢ ، ص ١٣٤ ، وهو جمال الدين عبدالرحيم بن عمر بن عثمان الشيباني الدينسري الشافعي أبو محمد الباجري الموصلي ، اشتغل بالموصل ثم قدم دمشق وخطب بجامعها ودرس بالمدرسة الدولية وبالقيصرية ، وولي قضاء غزة سنة

٦٧٩هـ/١٢٨٠م وعاش نحو السبعين سنة أو أكثر ، كان حسن السميت ، كثير العبادة والإفادة توفي في شهر شوال من سنة ٦٩٩هـ (١٣٠٠م) (الذهبي : العبر ، ج ٣ ص ٤٠٠ ، الأسنوي ، جمال الدين عبدالرحيم ت : ٧٧٢هـ/١٣٧٠م ، طبقات الشافعية تحقيق : عبدالله الجبوري ، الرياض : دار العلوم ، ١٤٠٠هـ/١٩٨١م ج ١ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥) .

(٧٢) الأعلام الخطيرة (قسم دمشق) ص ٢٦٦ ، وهو الحكيم العالم الصاحب نجم الدين أبو زكريا يحيى بن الحكم شمس الدين محمد بن أبي أصيبعة : كان مفرط الذكاء فصيح اللسان متفناً في الأدب ، ولد بحلب سنة ٦٠٧هـ (١٢١٠م) ثم قدم دمشق مع والده وقرأ على الشيخ مهذب الدين الدخوار واشتغل عليه بصناعة الطب ، وخدم في هذه الصناعة كلاً من الملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، وبعد وفاته رحل إلى مصر فأكرمه الكامل ثم اتجه إلى الشام بعدها وصار ناظراً على الديوان ، وله مصنفات عديدة منها : مختصر الكليات من كتاب القانون لابن سينا ، مختصر كتاب المسائل الحين بن إسحق ، مختصر كتاب إقليدس ، كتاب اللمعات في الحكمة ، وكانت وفاته في دمشق سنة ٦٧٠هـ (١٢٧١م) (ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٦٦٣) .

(٧٣) مختصر تنبيه الطالب ، ص ١٣٨ .

(٧٤) خطط الشام ، ج ٦ ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٧٥) الأعلام الخطيرة ، (قسم دمشق) ص ٢٦٦ ، ولم أقف على ترجمة لها في معاجم الأطباء وطبقاتهم ، وقد أهملها النعمي في كتابه الدارس .

(٧٦) تنسب المدرسة المستنصرية إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله الذي تولى الخلافة سنة ٦٢٣هـ (١٢٢٦م) ودام حكمه حتى وفاته سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٣م) وكان عصر المستنصر بالله العباسي يعد من عصور النهضة الشاملة في مختلف ميادين الحياة نظراً لما قام به من إصلاحات عمرانية وعسكرية واجتماعية وثقافية (ابن العبري : غريغوريوس الملطي ت : سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، دار الرائد اللبناني ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ٢٤٣ ، الذهبي : العبر : ج ٣ ص ٢٣٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ص ١٥٩ - ١٦٠ ، ابن العماد : الشذرات ، ج ٥ ص ٢٠٩) .

(٧٧) كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق البغدادي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م) . الحوادث الجامعة التجارب النافعة في المائة السابعة : تصحيح وتعليق مصطفى جواد ، بغداد : المكتبة العربية ، (١٣٥١هـ) . ص ٨٢ .

(٧٨) ابن العبري : مصدر سابق ، ص ٢٤٣ .

- (٧٩) حسين أمين : المدرسة المستنصرية . بغداد : مطبعة شفيق ، (١٩٦٠م) . ص ٥٦ .
- (٨٠) هو المبارك بن المبارك بن عمر الأواني أبو منصور المنعوت بالشمس طبيب المستنصرية كان عالماً بالطب، ماهراً في صناعته، له فيه تصانيف مشهورة زاد عمره عن مائة سنة وكان ملازم الكتابة والنسخ ، يكتب خطأ حسناً ولم يتغير عليه شيء من أعضائه إلى أن مات ، وكانت وفاته على الأرجح سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) (السلامي : أبو المعالي محمد بن رافع السلامي ت : ٧٧٤هـ/١٣٧٢م تاريخ علماء بغداد المسمى : منتخب الأخبار : تصحيح وتعليق عباس الغزاوي ، بغداد ، مطبعة الأهالي ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ص ١٦٤) .
- (٨١) هو الطبيب مجد الدين أبو علي عبد المجيد بن عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن الصباغ البغدادي الحكيم كان ماهراً في صناعة الطب، توفي في أوائل شعبان سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م (ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (كتاب اللام والميم)، تصحيح وتعليق الحافظ محمد بن عبد القدوس القاسمي ، لاهور : ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م ، ص ١٢٢ - ١٢٣) .
- (٨٢) ابن الفوطي : المصدر السابق ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .
- (٨٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٥٩ .
- (٨٤) ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية . ط ٢ . بغداد : مطبعة العاني ، ١٣٨٤هـ (١٩٦٥م) . ج ١ ص ٣٨٨ .
- (٨٥) هو الأمير أبو الفضل (أو أبو المظفر) شمس الدين باتكين بن عبد الله ، كان أرمي الجنسية اشتغل بالعلم وحفظ القرآن الكريم ، واشتغل بالجندية ، أقام بتكريت مدة ثم سُلمت إليه البصرة بحرّها وخراجها فأقام فيها (٢٣) سنة فعمرها ووجد مدارسها وأنشأ فيها مدارس جديدة منها واحدة للحنابلة وواحدة لتدريس الطب ، وعمرَ مرستاناً كان قد خرب ، كما أعاد بناء جامع البصرة بعد خرابه سنة ٦٢٤هـ ، وأنشأ عدة رُبط لإقامة الصوفية وأنشأ مكتبة ، وقف الكثير من الكتب في المدارس ، وازدهرت الحياة العلمية في عهده ، كما قام بأعمال إصلاحية أخرى منها بناء سور المدينة المنورة وإحكام أبوابه . وقد أحسن السيرة في أهل البصرة ، ثم عهد إليه ولاية إربل ، فأحسن السيرة فيها أيضاً ، وكان فاضلاً كثير القراءة للقرآن الكريم والمذاكرة في العلوم والسير والأخبار والأشعار ، أقام بإربل إلى أن هجم عليها المغول ففارقها سنة ٦٣٤هـ (١٢٣٧م) ورجع إلى بغداد ولزم داره إلى أن توفي في شوال سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٣م) (ابن المستوفي : شرف الدين بن أبي البركات الإربلي ت : سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م ، تاريخ إربل ، تحقيق سامي الصقار . العراق ، دار الرشيد ، ١٩٨٠م . ق ٢ ص ٦٤٢ - ٦٤٣) .

(٨٦) هو مهذب الدين أبو سعيد محمد بن علم الدين بن أبي الوحش بن أبي الخير بن أبي سليمان بن أبي حليقة مولده في القاهرة في سنة ٦٢٠هـ (١٢٢٣م) وهو من أسرة اشتغل معظم أفرادها بالطب ، وقد خدم الملك الظاهر بيبرس ، وفي سنة ٦٨٤هـ (١٢٨٥م) عُيِّن رئيساً للأطباء بديار مصر بمرسوم سلطاني ، كما عُيِّن مدرساً للطب بالبيهارستان المنصوري وله كتاب مشهور في الطب ، ولم تعلم سنة وفاته (ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص ٥٩٨ - ٥٩٩) .

(٨٧) المقرئزي : الخطط ، ج ٢ ص ٣٦٩ .

(٨٨) علي مبارك باشا : الخطط التوفيقية الجديدة . القاهرة : مطبعة بولاق ، (١٣٠٥هـ) ج ٢ ص ٤٠ .

(٨٩) أحمد أحمد بدوي : الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام . القاهرة : دار نهضة مصر د . ت ، ص ٥٣ .

(٩٠) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٥٩ .

(٩١) أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) . ج ٤ ص ٢٠٠ .

(٩٢) المصدر نفسه ، ج ١١ ص ٣٧١ - ٣٧٧ ولأهمية هذين التوقيعين وحاجة الدراسة لكثير مما ورد فيها رأيت مناسبة إرفاقهما ضمن ملاحق البحث .

(٩٣) المصدر نفسه ج ١١ ص ٢٤٩ - ٢٥٢ .

(٩٤) المصدر نفسه ج ١١ ص ٢٥١ .

(٩٥) المصدر نفسه ج ١١ ص ٢٥١ .

(٩٦) المصدر نفسه ج ١١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، ولأهمية هذا التوقيع أرى أنه من المناسب إيراده كاملاً بنصه ضمن ملاحق البحث .

(٩٧) هو منشئ المدرسة الدخوارية الطبية بدمشق ، وقد سبقت ترجمته ضمن الحديث عن هذه المدرسة .

(٩٨) عيون الأنباء ، ٧٣٢ .

(٩٩) المصدر نفسه ، ص ٧٣١ .

(١٠٠) المصدر نفسه ، ص ٧٣١ .

(١٠١) المصدر نفسه ، ص ٦٢٨ .

(١٠٢) المصدر نفسه ، ص ٧٣١ .

(١٠٣) ويكنى أبا منصور ، كان أول أمره فاصداً في البيهارستان ببغداد ، ثم اشتغل في صناعة

الطب وتميز بها حتى صار من أربابها ، وكان أول من نبه إلى استبدال الأدوية الحارة في معالجة أكثر الأمراض إلى المداواة بالفصد والتبريد والترطيب ومنع المرضى من الغذاء ، فاشتهر في ذلك وبرز به ولم تعلم سنة وفاته . له مقالة في مرض المراقيا ومداواتها ، (ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ص ٣١٣ - ٣١٥).

(١٠٤) المصدر نفسه ، ص ٣١٣ .

(١٠٥) هو أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة كان طبيباً فاضلاً خدم في صناعة الطب عدداً من الخلفاء العباسيين في بغداد ، وله كتاب مشهور في التاريخ ، كانت وفاته سنة ٣٦٣هـ (٩٧٣م) (ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ، ص ٣٠٤ - ٣٠٧).

(١٠٦) هو أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة برز في الطب ، وله قوة في علم الهيئة ، وقد خدم الخليفة العباسي المقتدر بالله والقاهر ثم الراضي بالله ، وتوفي ببغداد مسلماً سنة ٣٣١هـ (٩٤٣م) (ابن النديم : الفهرست ، ص ٥٤٩ ، : د ، ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق ص ٣٠٠ - ٣٠٤).

(١٠٧) ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ .

(١٠٨) ابن هبل : أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل البغدادي ، (ت : ٦١٠هـ / ١٢١٣م) المختارات في الطب ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الدكن ، الهند ، ج١ ، ص ٦ - ٧ .

(١٠٩) أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ، ص ٥٢ - ٥٥ .

(١١٠) زيفريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، نقله عن الألمانية : فاروق بيضون وكمال الدسوقي ، ط ٨ ، بيروت : دار الجيل ، ودار الآفاق الجديدة ، ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) . ص ٢٣٨ - ٢٤٢ .

(١١١) من أشهر علماء الطب اليونانيين وهو أبقرات بن ايرا قليدس بن أبقرات وينتهي نسبه إلى أحد ملوك اليونان ، وقد تعلم صناعة الطب من أبيه ايرا قليدس ومن جده أبقرات ، وقد ولد أبقرات في قوسنة (٤٦٠ ق.م) وكانت مدة حياته خمساً وتسعين سنة قضاها بين التعلم والتعليم ، وكان يتردد بين رودس وقنيدس ومدينة قوهي من جزر بحر إيجه ، وقد ترك أبقرات آثاراً جليلة في الطب ، وصنّف كتباً طبية كثيرة ، اشتهر منها اثنا عشر كتاباً أصبحت مراجع مهمة لمن درسوا الطب بعده (ابن النديم : الفهرست ، ص ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ابن أبي أصيبعة ، مصدر سابق ، ص ٤٣ - ٦١).

(١١٢) جالينوس : يوناني عاش في العصر الروماني ، ويعد آخر الأطباء اليونانيين الكبار ، وهو الثامن منهم ، ولد في برغامون (تقع حالياً شمال أزمير في تركيا) سنة ١٣١م ، وجمع آثار

أبقراط في الطب وحفظها من الضياع ، وشرح أفكار سابقه من الأطباء اليونانيين ، وكانت وفاته سنة (٢٠٠م) . بعد أن طاف في آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين والإسكندرية ، ثم عاد إلى مسقط رأسه واشتغل فيها أربع سنوات طبياً ، ثم سافر إلى روما واشتهر فيها طبيباً ، وجراحاً وله مصنفات في الطب كثيرة جداً اعتمد عليها من جاء بعده من الأطباء (ابن النديم : المصدر نفسه ، ص ٥٧٧ - ٥٧٨ ، ابن جليل ، مصدر سابق ، ص ٤١ - ٤٤ ، ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ، ص ١٠٩ - ١٥٠) .

(١١٣) ابن النديم : المصدر نفسه ، ص ٥٧٦ - ٥٧٧ ، ابن أبي أصيبعة المصدر نفسه ، ص ٥٤ . ٥٥ .

(١١٤) وقد عني هذا الكتاب بشروحات كثيرة من عدد من أطباء المسلمين منها :
(أ) شرح الطبيب عمر بن علي بن البذوخ القلعي أبو جعفر المغربي المتوفى في دمشق سنة ٥٧٥هـ (١١٧٩م) أو سنة ٥٧٦هـ (١١٨٠م) ، (ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص ٦٢٨ - ٦٣٠) .

(ب) شرح الطبيب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي المتوفى في بغداد سنة ٦٢٩هـ (١٢٣١م) . (ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ، ص ٦٩٤هـ) .

(ج) شرح الطبيب علاء الدين ابن النفيس المتوفى في القاهرة سنة ٦٨٧هـ (١٢٨٨م) أو سنة ٦٩٢هـ (١٢٩٣م) (ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٣٧٧) .

(١١٥) وقد عني هذا الكتاب بشروحات عديدة من أطباء المسلمين منها :
(أ) شرح الطبيب عمر بن علي بن البذوخ في أرجوزة . (المصدر نفسه ، ص ٦٣٠) .

(ب) شرح الطبيب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي . (ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ص ٦٩٤هـ) .

(ج) شرح الطبيب عماد الدين محمد الدينسري المتوفى في دمشق سنة ٦٨٦هـ (١٢٨٧م) (المصدر نفسه : ٧٦٧) .

(١١٦) وقد شرحه الطبيب أبو الفرج عبد الله بن الطيب طبيب العراق المتوفى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) على الأرجح كانت له شروحات وتفسيرات على كثير من كتب أبقراط وجالينوس مما يصعب حصره هنا (انظر : ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ، ص ٣٢٥) .

(١١٧) وقد قام الطبيب الأندلسي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى في مراكش سنة ٥٩٥هـ (١١٩٨م) بتلخيص هذا الكتاب تلخيصاً تاماً مستوفياً ، كما قام بتلخيص عدد آخر من كتب جالينوس (انظر : ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ، ص ٥٣٢) .

(١١٨) ألف الطبيب سديد الدين أبو الفضل داود بن أبي البيان المتوفى سنة ٦٤٣هـ (١٢٤٥م) تعليقات مفيدة على هذا الكتاب، وكانت أشهر ما أثر عنه . (ابن أبي أصيبعة : نفسه ص ٥٨٤).

(١١٩) الفهرست ٥٧٨ - ٥٨١، عيون الأنباء، ص ١٣٤ - ١٤٩ .

(١٢٠) عدهم ابن أبي أصيبعة سبعة هم : «أصطفن» وجاسيوس، وثادوسيوس، وأكيلوس، وأنقيلوس، وفلاذبوس، ويحيى النحوي». المصدر نفسه ص ١٥١ .

(١٢١) ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه، ص ١٥١ - ١٥٩ .

(١٢٢) أحمد بدوي : الحياة العقلية، ص ٣١١ .

(١٢٣) أحمد بدوي : المرجع نفسه، ص ٣١١ .

(١٢٤) وفيات الأعيان، ج ٥ ص ١٥٨ .

(١٢٥) تراث الإسلام : تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس أرنولد. تعريب وتعليق

: جرجيس فتح الله . ط ٣. بيروت : دار الطليعة، (١٩٧٨م). ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

(١٢٦) من هذه الاهتمامات :

(أ) اختصار الطبيب مهذب الدين بن علي الدخوار منشاء أول مدرسة تخصصية

لتدريس الطب، والمتوفى في دمشق سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م). (ابن أبي أصيبعة : نفسه، ص ٧٣٥).

(ب) اختيار الطبيب هبة الله أمين الدولة ابن التلميذ المتوفى في بغداد سنة ٥٦٠هـ

(١١٦٥م) وهو ممن تولوا رئاسة الأطباء في بغداد. (ابن أبي أصيبعة : نفسه، ص ٣٧١).

(١٢٧) أحمد بدوي : مرجع سابق : ص ٣١١ .

ومن هؤلاء :

- الطبيب عمر بن علي بن البذوخ القلعي المتوفى سنة ٥٧٥هـ (١١٧٩م) أو ٥٧٦هـ (١١٨٠م).

- والطبيب شرف الدين الرجي مدرس الدخوارية المتوفى سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م).

- الطبيب علاء الدين ابن النفيس وقد ألف كتاباً سماه الموجز في الطب وهو مختصر لهذا الكتاب .

- الطبيب رضوان بن محمد بن الساعاتي المتوفى بدمشق سنة ٦١٨هـ (١٢٢١م) وقد وضع حواشي مفيدة على هذا الكتاب .

(١٢٨) ماكس مايرهوف : تراث الإسلام، ص ٤٧٢ .

- (١٢٩) الشيزري، عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله بن محمد الشيزري الشافعي (ت ٥٨٩هـ/١٩٩٣م). نهاية الرتبة في طلب الحسبة. ط٢، تحقيق ومراجعة السيد الباز العربي، بيروت: دار الثقافة، ١٤٠١هـ (١٩٨١م) ص ١٠٠.
- (١٣٠) طبيب فاضل عاش في الأندلس خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج، له تصانيف مشهورة في صناعة الطب أشهرها كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف وهو كتاب تام في معناه (ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص ٥٠١).
- (١٣١) الشيزري: المصدر السابق، ص ١٠١.
- (١٣٢) أنخل جنثالث بالنتيا: تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الأسبانية، حسين مؤنس، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ص ٤٦٦، وقد جعل وفاته سنة ٤٠٣هـ (١٠١٣م).
- (١٣٣) هو الطبيب أحمد بن عبدالرحمن بن مندويه الأصفهاني طبيب فارس خدم ملوك فارس ثم انتقل إلى بغداد فعمل في البيمارستان العضدي، له أعمال مشهورة في الطب. (ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص ٤٥٩ - ٤٦١).
- (١٣٤) نفسه، ص ٤٦٠ - ٤٦١.
- (١٣٥) فيصل دبدوب، مقالة الخواص لعبد اللطيف البغدادي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٤٥) ١٩٧٠م ص ٢٣٢.
- (١٣٦) القلقشندي. صبح الأعشى، ج ١١ ص ٣٧١ - ٣٧٤.
- (١٣٧) أفرق المريض: برأ.
- (١٣٨) هو الشيخ الرئيس ابن سينا، وكتابه في الطب «القانون» (كشف الظنون: ١٣١١).
- (١٣٩) هو أبوبكر الرازي. وكتابه في الطب، «الحاوي» (كشف الظنون: ٦٢٨).
- (١٤٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١١ ص ٣٧٤ - ٣٧٧.
- (١٤١) سورة يوسف / ٧٦.
- (١٤٢) القلقشندي، صبح الأعشى ج ١١ ص ٣٧٧ - ٣٧٨.
- (١٤٣) القلقشندي، صبح الأعشى ج ١١ ص ٢٤٩ - ٢٥٢.
- (١٤٤) هو المختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان: طبيب نصراني من أهل بغداد. سافر إلى مصر وأقام فيها ثلاث سنوات ورحل إلى القسطنطينية ثم إلى أنطاكية فترهب ومات فيها سنة ٤٥٨هـ. من كتبه «دعوة الأطباء» و«تقويم الصحة». (الأعلام: ١٩١/٧ ودائرة المعارف الإسلامية: ٢٢١/١).
- (١٤٥) الطبائعيون هم أطباء الأمراض الباطنية. والكحالون: أطباء العيون.
- (١٤٦) وقع هذا التقليد في رمضان سنة ٦٨٤هـ (١٢٨٥م) وقد كتبه القاضي محمد بن المكرم (سيرة

الملك المنصور عن ابن الفرات : ٢٥/٨ .

(١٤٧) أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص ٤٤ - ٤٥ .

(١٤٨) هو أحمد بن سراج الدين الملقب شهاب الدين المعروف بابن الصائغ الحنفي المصري الشيخ الطبيب الفاضل أخذ العلوم من الشيخ الإمام علي بن غانم المقدسي والإمام الفهامة محمد بن محيي الدين ناصر الدين التحريري وولده الرئيس الشهير سري الدين وبه انتفع في الطب وتولى قديماً تدريس الحنفية بالمدرسة البرقوقية، ومات عن مشيخة الطب بدار الشفا المنصوري (قلاوون) ورياسة الأطباء وكانت ولادته في سنة ١٩٤٥هـ (١٥٣٨م) وتوفي في ربيع الأول سنة ١٠٣٦هـ (١٦٢٦م) ودفن خارج باب النصر ولم يعقب إلا بنتاً تولت مكانه مشيخة الطب (المحيي : محمد بن فضل الله الدمشقي ، ت ١١١١هـ/١٦٩٩م . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت : دار صادر، د.ت، ج/ ص ٢٠٣ - ٢٠٤) .

(١٤٩) في لب اللباب للسيوطي الجرواءاني بالضم ومد الألف نسبة إلى جرواءان محلة بأصبهان .

(١٥٠) واسم الرسالة نهاية القصد في صناعة الفصد، منها نسخة مخطوطة بدار الكتب الملكية بالقاهرة. (أحمد عيسى : مرجع سابق، ص ٤٥) .

(١٥١) أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص ٤٦ - ٤٨ .

(١٥٢) هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني المتوفى سنة ٧٤٩هـ والرسالة تسمى نهاية القصد في صناعة الفصد. (أحمد عيسى المرجع نفسه، ص ٤٧) .

المصادر والمراجع

١ - المصادر العربية المطبوعة :

- ابن أبي أصيبعة : أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) . عيون الأنباء في طبقات الأطباء - شرح وتحقيق : نزار رضا - بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) .
- الأسنوي : جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م) طبقات الشافعية ، تحقيق : عبدالله الجبوري - الرياض : دار العلوم ، ١٤٠٠هـ (١٩٨١م) .
- البيهقي : ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد (ت ٥٦٥هـ / ١١٧٠م) ، تاريخ حكماء الإسلام ، تحقيق : محمد كرد علي - دمشق : المجمع العلمي العربي ، ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) .
- ابن جُلجل : سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م) ، طبقات الأطباء والحكماء . ط ٢ ، تحقيق : فؤاد السيد . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) .
- ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الأجزاء من السادس إلى العاشر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية . حيدرآباد ، الدكن ، الهند ، ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) .
- ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . بيروت : دار الجيل ، د . ت .
- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق : إحسان عباس . بيروت : دار صادر ، ١٩٧١م) .

- الذهبي : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٨٤٨هـ/١٣٤٨م) .
- ١ - العبر في خبر من غبر ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) .
- ٢ - سير أعلام النبلاء ، ط ٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) .
- السخاوي : شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت : ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . بيروت : دار مكتبة الحياة ، د . ت .
- السلامي : أبو المعالي محمد بن رافع (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) تاريخ علماء بغداد ، المسمى : منتخب الأخبار ، تصحيح وتعليق عباس الغزاوي ، بغداد : مطبعة الأهالي ، ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) .
- أبو شامة : شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م) تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين ، نشر عزت العطار الحسيني . ط ٢ . بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٤م) .
- ابن شداد : عزالدین محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ج ٢ ق ١ (قسم دمشق) نشر وتحقيق : سامي الدهان ، دمشق : المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) .
- الشيزري : عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله بن محمد الشيزري الشافعي (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) نهاية الرتبة في طلب الحسبة . ط ٢ . تحقيق ومراجعة السيد الباز العريني . بيروت : دار الثقافة ، ١٤٠١هـ (١٩٨١م) .
- الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) الوافي بالوفيات ، ج ١ ، ط ٢ ، نشر باعتناء هلموت ريتز . فيسبادن : فرانز شتاينر ، ١٣٨١هـ (١٩٦٢م) .
- ج ٣ ، ط ٢ . نشر باعتناء س . ديد رينغ ، فيسبادن : فرانز شتاينر ، ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .

- ابن العبري : غريغوريوس الملطي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول ، بيروت : دار الرائد اللبناني ، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) .
- العليموي : عبدالباسط بن موسى العليموي الدمشقي (ت ٩٨١هـ/١٥٧٣م) ، مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، نشر مديرية الآثار القديمة العام ، دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) .
- ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبدالحكي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت : دار الفكر ، (١٣٩٩هـ) .
- ابن الفوطي : كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق البغدادي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة تصحيح وتعليق : مصطفى جواد ، بغداد : المكتبة العربية (١٣٥١هـ) .
- القفطسي : جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) . أخبار العلماء بأخبار الحكماء . القاهرة : مكتبة المثنى ، د . ت .
- القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . بيروت : دار الكتب العلمية - ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) .
- الكتبي : محمد بن شاکر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) فوات الوفيات والذيل عليه ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار الثقافة ، (١٩٧٣م) .
- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) . البداية والنهاية . ط ٢ . بيروت : مكتبة المعارف (١٩٧٧م) .
- المحببي : محمد أمين بن فضل الله الدمشقي (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر . بيروت : دار صادر ، د . ت .
- ابن المستوفي : شرف الدين بن أبي البركات الإربلي (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) تاريخ إربل ، تحقيق : سامي الصقار . بغداد : دار الرشيد ، (١٩٨٠م) .
- المقرئزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١١٤١م) المواعظ والاعتبار

- بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقرزية . بيروت : دار صادر ، د . ت .
- ابن هبل : أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل البغدادي (ت ٦١٠هـ/١٢١٣م) ، المختارات في الطب ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند ، ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) .
- ابن النديم : محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م) الفهرست ، تحقيق : ناهد عباس عثمان . الدوحة : دار قطري بن الفجاءة ، (١٩٨٥م) .
- النعمي : عبدالقادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م) الدارس في تاريخ المدارس ، نشر وتحقيق جعفر الحسيني . دمشق : مطبعة الترقى ، ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) .
- ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) . معجم البلدان ، ط ٢ ، بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) .

المصادر والمراجع

- ١ - المصادر العربية والمعرّبة :
 - أحمد أحمد بدوي : الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، القاهرة : دار نهضة مصر ، د . ت .
 - أحمد عيسى : (ت ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) .
 - ١ - تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ط ٢ ، بيروت : دار الرائد العربي ، ١٤٠١هـ (١٩٨١م) .
 - ٢ - معجم الأطباء - ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة . ط ٢ . بيروت : دار الرائد العربي ، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) .
 - أنخل جنثالث بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، نقله عن الأسبانية حسين مؤنس ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .
 - توماس أرنولد : تراث الإسلام تعريب وتعليق : جرجيس فتح الله ، ط ٣ ، بيروت : دار الطليعة (١٩٧٨م) .

- حسين أمين : ١ - المدرسة المستنصرية ، بغداد : مطبعة شفيق ، (١٩٦٠م).
- ٢ - «المسجد وأثره في تطوير التعليم» مجلة دراسات تاريخية (جامعة دمشق) ٥٤ (رمضان ١٤٠١هـ) ص
- زيغرد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، نقله عن الألمانية : فاروق بيضون ، وكمال الدسوقي ط ٨ ، بيروت : دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ، ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) .
- علي مبارك باشا : الخطط التوفيقية الجديدة . القاهرة : مطبعة بولاق ، (١٣٠٥هـ) .
- فيصل دبذوب : مقالة الحواس لعبد اللطيف البغدادي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد (٤٥) ، دمشق (١٩٧٠م) .
- محمد التونجي : المعجم الذهبي - فارسي عربي - بيروت : دار العلم للملايين ، (١٩٦٩م) .
- محمد خير الدين الأسدي : (ت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) موسوعة حلب المقارنة ، حلب : مطبعة جامعة حلب ، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) .
- محمد عبدالرحيم غنيمه : تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، تطوان : دار الطباعة المغربية ، (١٩٥٣م) .
- محمد كرد علي : (ت ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م) ، خطط الشام . ط ٣ . بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) .
- ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية . ط ٢ ، بغداد : مطبعة العاني ١٣٨٤هـ (١٩٦٥م) .